
النور المقدس

تاريخ ظهور النور المقدس

هنري ناجي فوزي

المقدمة

أولاً : أعتذر عن بعض كلمات الإساءة على لسان بعض المؤرخين العرب ، ولقد ذكرت النصوص كما هى للأمانة العلمية فى النقل

ثانياً : لا ينبغى أن يستبدل القول عن عيد القيامة بعيد الفصح لأن هناك فارق كبير بين التسميتين لا مجال للشرح هنا ، ولكن أيضاً نقلت عن المؤرخين تسمية عيد القيامة بعيد الفصح وذلك للأمانة العلمية فى النقل بالرغم من خطأ السمية

إن ظهور النور المقدس وفجه كل عام هو حدث هام لهه دلالاته وقدسيته ، وكثير منا يجهل الأحداث التى ارتبطت بظهور النور تاريخياً ، ولذلك جاء هذا البحث المبسط كمحاولة بسيطة لاستكشاف التاريخ

كذلك لم أتطرق فى هذا البحث للتفسيرات العلمية التى تفسر ظهور النور المقدس ، وذلك لأن العمل الإلهى المعجزى لا يحتاج إلى تفسير ، لأنه عمل فوق الطبيعة وخارق لها ، وأنه يفوق عقلنا البشرى ، لذلك أى محاولة للتفسير هى مجرد اجتهاد شخصى ، لكن فى النهاية الحق بين والأمر ظاهر للجميع ولا يحتاج إلى تفسير وبالرغم من اجتهاد الكثير فالحقيقة هى أبلغ تفسير

أود أن أقول فى هذا البحث أنه لمدة تزيد عن أكثر من ألف 1000 سنة المؤرخين كل منهم يحاول أن يفسر هذا النور بأنه خدعة ، وأود أن أسأل الجميع بعد إنقضاء كل هذه القرون والسنوات هل إلى الآن لم يستطع أحد منكم أن يكتشف هذه الخدعة لكى يبطلها ؟؟؟ !!!

هنرى ناجى فوزى

الأول من أبريل 2025

لماذا يظهر النور يوم السبت

إن ظهور النور المقدس يوم السبت له سبب لاهوتى وهو أن الموجود فى القبر هو الإله الحقيقى يسوع المسيح الإله المتجسد ، وأن ظهور النور يوم السبت دليل على أن الذى قبر فى القبر لم يفترق لاهوته عن ناسوته لأنه إتحاد حقيقى .

الله هو نور وإليكم بعض الشواهد فى الكتاب المقدس

" ثُمَّ كَلَّمَهُمْ يَسُوعُ أَيْضًا قَائِلًا: «أَنَا هُوَ نُورُ ٱلْعَالَمِ. مَنْ يَتْبَعْنِي فَلَا يَمْشِي فِي ٱلظُّلْمَةِ بَلْ يَكُونُ لَهُ نُورُ ٱلْحَيَاةِ»." (يُوحَنَّا ٨:١٢)

" هُوَ يَكْشِفُ ٱلْعَمَائِقَ وَٱلْأَسْرَارَ. يَعْلَمُ مَا هُوَ فِي ٱلظُّلْمَةِ، وَعِنْدَهُ يَسْكُنُ ٱلنُّورُ." (دَانِيآل ٢:٢٢)

" وَهَذَا هُوَ ٱلْخَبَرُ ٱلَّذِي سَمِعْنَاهُ مِنْهُ وَنُخْبِرُكُمْ بِهِ: إِنَّ ٱللهَ نُورٌ وَلَيْسَ فِيهِ ظُلْمَةٌ ٱلْبَتَّةَ. " (يُوحَنَّا ٱلْأُولَى ١:٥)

" 1 «قُومِي اسْتَنِيرِي لأَنَّهُ قَدْ جَاءَ نُورُكِ، وَمَجْدُ الرَّبِّ أَشْرَقَ عَلَيْكِ. 2 لأَنَّهُ هَا هِيَ الظُّلْمَةُ تُغَطِّي الأَرْضَ وَالظَّلاَمُ الدَّامِسُ الأُمَمَ. أَمَّا عَلَيْكِ فَيُشْرِقُ الرَّبُّ، وَمَجْدُهُ عَلَيْكِ يُرَى. 3 فَتَسِيرُ الأُمَمُ فِي نُورِكِ، وَالْمُلُوكُ فِي ضِيَاءِ إِشْرَاقِكِ. " (إشعياء 60: 1-3)

" نُورٌ أَشْرَقَ فِي الظُّلْمَةِ لِلْمُسْتَقِيمِينَ. هُوَ حَنَّانٌ وَرَحِيمٌ وَصِدِّيقٌ. " (مزمور 4:112)

" لأَنَّ عِنْدَكَ يَنْبُوعَ الْحَيَاةِ. بِنُورِكَ نَرَى نُورًا. " (مزمور 9:36)

" يَا بَيْتَ يَعْقُوبَ، هَلُمَّ فَنَسْلُكُ فِي نُورِ الرَّبِّ. " (إشعياء 5:2)

" اَلشَّعْبُ السَّالِكُ فِي الظُّلْمَةِ أَبْصَرَ نُورًا عَظِيمًا. الْجَالِسُونَ فِي أَرْضِ ظِلاَلِ الْمَوْتِ أَشْرَقَ عَلَيْهِمْ نُورٌ. " (إشعياء 2:9)

متى بدأ فج وظهور النور المقدس

إن النور غير المخلوق الذي ظهر في ساعة قيامةالسيد المسيح لم يكن مجرد نور مرافق، بل كان نورًا متحدًا بألوهية المسيح القائم. إن قيامة السيد المسيح والظهور المتزامن للنور غير المخلوق ليسا حدثين مختلفين، بل هما نفس الشيء، لأن المسيح لا يمكن أن ينفصل عن نور لاهوته. وبالتالي فإن الفحص التاريخي لمعجزة النار المقدسة - التي تمت بالفعل - سيكون أكمل إذا حاولنا تناول بداية هذه المعجزة، إذا حاولنا فحص الحدث الفعلي لقيامة السيد المسيح والوقت الدقيق الذي حدث فيه.

"1 وَبَعْدَ السَّبْتِ، عِنْدَ فَجْرِ أَوَّلِ الأُسْبُوعِ، جَاءَتْ مَرْيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ وَمَرْيَمُ الأُخْرَى لِتَنْظُرَا الْقَبْرَ. 2 وَإِذَا زَلْزَلَةٌ عَظِيمَةٌ حَدَثَتْ، لأَنَّ مَلاَكَ الرَّبِّ نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ وَجَاءَ وَدَحْرَجَ الْحَجَرَ عَنِ الْبَابِ، وَجَلَسَ عَلَيْهِ. 3 وَكَانَ مَنْظَرُهُ كَالْبَرْقِ، وَلِبَاسُهُ أَبْيَضَ كَالثَّلْجِ. 4 فَمِنْ خَوْفِهِ ارْتَعَدَ الْحُرَّاسُ وَصَارُوا كَأَمْوَاتٍ. 5 فَأَجَابَ الْمَلاَكُ وَقَالَ لِلْمَرْأَتَيْنِ: «لاَ تَخَافَا أَنْتُمَا، فَإِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكُمَا تَطْلُبَانِ يَسُوعَ الْمَصْلُوبَ. 6 لَيْسَ هُوَ ههُنَا، لأَنَّهُ قَامَ كَمَا قَالَ! هَلُمَّا انْظُرَا الْمَوْضِعَ الَّذِي كَانَ الرَّبُّ مُضْطَجِعًا فِيهِ." (مت 28: 1-6).

يخبرنا هذا المقطع من متى عن الوقت الذي ذهبت فيه السيدة العذراء مريم ومريم المجدلية إلى القبر، الساعة التي حدث فيها الزلزال العظيم ودحرج الحجر. لقد حدثت قيامة المسيح قبل ذلك بقليل، مع ختم القبر. وفقًا للترجمة أعلاه، فإن الأحداث التي وصفها الإنجيلي متى حدثت بمجرد "بزوغ فجر" يوم الأحد.

فكيف يمكن للقديس غريغوريوس النيصي أن يقول؟ أن قيامة المسيح حدثت مباشرة بعد غروب الشمس حيث بدأ الظلام يوم السبت؟

النص اليوناني القديم لإنجيل متى، والذي يبدأ على النحو التالي: Ὀψὲ δὲ σαββάτων, τῇ ἐπιφωσκούσῃ εἰς μίαν σαββάτων. نرى أن هناك عبارتين تحددان الوقت بالضبط:

1. عبارة (Ὀψὲ δὲ σαββάτων).
2. عبارة (τῇ ἐπιφωσκούσῃ εἰς μίαν σαββάτων).

هاتان العبارتان، على الرغم من كتابتهما باليونانية، من الواضح أن تركيبهما عبراني. ولهذا السبب، يُكتب يوم السبت بصيغة الجمع (sabbaton)، بينما يُكتب يوم الأحد بصيغة eis mian sabbaton.

هاتان العبارتان لهما نفس المعنى تمامًا وتحددان الساعة التي تقع فيها تلك الليلة مساء السبت.

الكلمة الأولى من العبارة[1]، (ὀψὲ) opse، عندما تستخدم مع يوم من أيام الأسبوع، تعني: "عند الغسق" أو "عند حلول الليل" أو "في المساء". يمكن أن تعني كلمة opse أيضًا "في نهاية" الحدث. لذلك يمكن ترجمة عبارة Opse de sabbaton بطريقتين:

1. «إذا أظلم يوم السبت» أو «عشية يوم السبت».
2. "بعد نهاية يوم السبت".

وكلا الترجمتين متساويتين في الصحة وتحددان الوقت نفسه بالضبط: عندما بدأ الظلام. وهذا يعني أن غريغوريوس النيصي كان على حق تماماً فيما كتبه.

ومن الجدير بالذكر أن كلمة opse موجودة أيضًا مرتين أخريين في العهد الجديد، في إنجيل مرقس تحديدًا. وفي كلتا الحالتين تُترجم "عندما جاء المساء" أو "مساءً"[2].

[1]) وفقًا للقاموس البيزنطي، Great Etymologicon (القرن الحادي عشر)، فإن كلمة opse تعني "عند المساء" في وقت متأخر من المساء. أنظر أيضا ثوسيديدس، التاريخ، 3.108: καὶ ἡ μὲν μάχη ἐτελεύτα ἐς ὀψέ؛ أي: "وانتهت المعركة في وقت متأخر من المساء". وفقًا لقواميس ليدل-سكوت-جونز وستاماتاكوس، فإن كلمة opse تعني "في وقت متأخر من المساء، عكس الصباح". أثينايوس (القرن الثاني إلى الثالث)، بينما كان يشير إلى شخص غريب كان مستيقظًا كل ليلة طوال حياته، فإنه يعرّف opse على أنه العكس تمامًا لـ "الفجر" أو "الفجر": πρωὶ μὲν ἐκάθευδεν، ὀψὲ δ' ἀνίστατο؛ أي: «إذا أصبح الفجر نام، وإذا أظلم قام».

أنظر : Athenaeus, Deipnosophistae, vol. 2.1, Leiden 1937, p. 116

[2]) في الآية الأولى، يذكر المسيح مجيئه الثاني ويحث الناس على أن يكونوا دائمًا مستعدين وساهرين: "اسهروا إذًا لأنكم لا تعلمون متى يأتي رب البيت أم أمساء أم نصف الليل أم عند الفجر". صياح الديك أم في الصباح" (مرقس 13: 35). وفي الآية الثانية يذكر ما يلي: Καὶ ὅταν ὀψὲ ἐγένετο, ἐξεπορεύετο ἔξω τῆς πόλεως، أي: "ولما جاء المساء خرج خارج المدينة" (مرقس 11 :19).

كما أشار الدكتور موشيه شوابي[1] إلى أن العبارة الواردة في متى Opse de sabbaton هي نفس العبارة التي استخدمها Thucydides opse tes imeras (ὀψὲ τῆς ἡμέρας)، والتي تعني "مع اقتراب الليل"[2].

الآن نلقي نظرة على العبارة الثانية من النص اليوناني القديم لمتى: epiphoskouse eis mian sabbaton (ἐπιφωσκούσῃ εἰς μίαν σαββάτων)، والتي عادة ما تُترجم "مع بدء الفجر في اليوم الأول من الأسبوع." هذا هو المكان الذي يحدث فيه سوء الترجمة الخطير. تؤدي هذه الترجمة بالذات إلى فهم غير صحيح تمامًا، حيث يظن القارئ أنها تشير إلى الفجر. ليست هذه هي القضية، ولكن. عندما استخدم اليهود عبارة "انطلاق/نور يوم جديد" لم يقصدوا طلوع النهار في الصباح، بل "أشرق ليل يوم جديد"[3].

وبحسب الشريعة اليهودية، فإن مجيء اليوم الجديد كان في المساء، عند حلول الظلام. وهذا التقليد موجود لأن الله، بحسب سفر التكوين، خلق الليل أولاً ثم خلق النهار. وبالتالي، فإن "طلوع" اليوم الجديد، بالنسبة لليهود، يتوافق في الوقت المناسب مع المساء. وكثيرون ممن درسوا إنجيل متى، من علماء اللغة اليهودية واليونانية، مثل جون لايتفوت[4]، جورج ف. مور[5] George F. Moore،

---

[1]) عالم فقه اللغة الألماني الإسرائيلي والخبير في اللغة اليونانية، وكان عميد الجامعة العبرية في القدس.

[2]) Thucydides, History, 4.93. Concerning the reference made by Schwabe, see M. Smith, Tannaitic Parallels to the Gospels, Jerusalem 1951, p. 31

[3]) استخدم أبيفانيوس هذا التعبير نفسه في القرن الرابع، قائلاً، epiphoskouses esperas (ἐπιφωσκούσης ἑσπέρας، أي "عندما أشرق المساء/أشرق") للإشارة إلى بداية اليوم الأول من عيد الفصح: ἐπιφωσκούσης γὰρ τῆς κυριακῆς ἑσπέρας δύνανται θύειν τὸ Πάσχα (Epiphanius, Panarion, PG 3.244). وهي نفس العبارة التي يستخدمها الإنجيلي متى. وخلف التعبير تختبئ لغة عبرية تستخدم للإشارة إلى بداية اليوم الجديد، وكذلك إلى بداية عيد الفصح بعد غروب الشمس. تم العثور على هذا التعبير في عمل من القرن الثاني، Misnah, Pesachim, 2.1 (انظر منشورات M. Maimonides وO. Bartenora). نقرأ فيه: "في مساء اليوم الرابع عشر يتم فحص الحمتز على ضوء المصباح". لكن كلمة "مساء" مكتوبة بكلمة " אור" التي تعني "نور". وقد حدث ذلك لأسباب تتعلق بالزخرفة اللغوية. لم يريدوا أن يكتبوا: "أظلم يوم عيد الفصح"، لكنهم فضلوا عبارة "أشرق يوم عيد الفصح"، على الرغم من أنه في تلك الساعة كان الظلام يخيم. سيكون مثل قوله "لقد طلع الليل".

[4]) جون لايتفوت John Lightfoot (1602-1675) كان نائب عميد جامعة كامبريدج Cambridge

[5]) أستاذ تاريخ الأديان في كلية اللاهوت بجامعة هارفارد ورئيس الأكاديمية الأمريكية للفنون والعلوم

مورتون سميث[1]، ودانييل بويارين Daniel Boyarin [2]. وقد أشاروا إلى أن العبارة الواردة في متى هي لغة سامية، أي عبارة يهودية مترجمة إلى اليونانية، وهي تشير إلى الساعة التي يحل فيها الليل ويبدأ يوم الأحد الجديد حسب التقويم اليهودي[3].

يقول الدكتور إسحاق ويلك أوليفر في رسالة الدكتوراه ما يلي: "الفعل اليوناني epiphosko (ἐπιφώσκω)[4] سيكون ترجمة الكلمة العبرية ל אור أو الآرامية נגהי، التي تشير إلى "النور"، ولكنها لا تشير إلى ضوء الفجر عند شروق الشمس المبكر، بل إلى بداية اليوم عند غروب الشمس (وفقًا للحساب اليهودي للوقت). هذا يعني أنه بالنسبة لمتى، مريم المجدلية ومريم، يزوران القبر بعد نهاية السبت، أي بعد غروب الشمس، في لغتنا الحديثة، في ليلة السبت، وليس في وقت مبكر من صباح الأحد[5].

لذلك، فإن عبارة epiphoskouse eis mian sabbaton تُترجم على أنها "عندما بدأ يوم الأحد" وتشير إلى الوقت بعد غروب الشمس مساء يوم السبت. ونفس العبارة نجدها في مكان آخر من العهد الجديد، في إنجيل لوقا. يحدد لوقا وقت دفن المسيح بالعبارة: καὶ ἡμέρα ἦν παρασκευῆς, καὶ σάββατον ἐπέφωσκεν، أي: "وكان يوم الاستعداد، والسبت بدأ" (لوقا 23: 54)[6]. بمعنى آخر، دفن المسيح تم بعد غروب الشمس، بعد بدء يوم السبت (حسب التقويم اليهودي). وهذا بالضبط ما يؤكده الإنجيلي متى. انظر متى 27: 57. يقول متى (opsias genomenes) ὀψίας γενομένης، وهذا يعني "ولما جاء المساء"، سأل يوسف الذي

---

[1]) أستاذ التاريخ القديم في جامعة كولومبيا. انظر M. Smith, Tannaitic Parallels to the Gospels, Jerusalem 1951, p. 31

[2]) أستاذ الثقافة التلمودية والبلاغة في جامعة بيركلي Berkeley ، كاليفورنيا

[3]) See D. Boyarin, "After the Sabbath (Matt 28:1)—Once More into the Crux," JTS 52, 2 (2001), 678–88; G.F. Moore, "Conjectanea Talmudica", JAOS 26 (1905), 328; J. Lightfoot, Commentary of the New Testament from the Talmud and Hebraica, Cambridge 1674.

[4]) إن كلمة (epiphoskouse) ἐπιφωσκούσῃ، التي يستخدمها متى، لا تعني "بدأ الفجر" بل تعني "أشرق" أو "أُعلن". كلمة ἐπιφωσκούσῃ تأتي من الفعل ἐπιφώσκω أو φώσκω. في قاموس Goudia البيزنطي، يقول أن الفعل φώσκω يعني φαίνω (أي يكشف، يسلط الضوء). ولذلك فإن عبارة epiphoskouse eis mian sabbaton تعني "عندما ظهر يوم الأحد" أو "عندما بدأ يوم الأحد" بعد غروب الشمس.

[5]) Isaac Wilk Oliver, Torah Praxis after 70 C.E.: Reading Matthew and Luke-Acts as Jewish Texts, doctoral dissertation (University of Michigan, 2012)

[6])

من الرامة بيلاطس عن جسد يسوع الميت. ومن ثم، فإن الدفن، الذي تم في وقت لاحق إلى حد ما، تم عندما كان الظلام إلى حد ما. ويشهد مرقس على ذلك (15: 42). الكلمات opse و opsias لها نفس المعنى بالضبط، هذه العبارة في لوقا "بدأ السبت" والعبارة في متى "وبدأ الأحد" تستخدم نفس الفعل (epiphosko) وتحدد نفس الوقت (المساء)، مع اختلاف يوم واحد. وهذا يعني أن دفن المسيح وقيامته تما في نفس الساعة، أي الساعة الأولى بعد غروب الشمس (حوالي الساعة السابعة مساءً).

ومن المثير للاهتمام أن الترجمة الصحيحة للآية التي طرحناها للتو تدعمها جميع الترجمات القديمة للعهد الجديد، مثل الترجمة اللاتينية للقديس جيروم (الفولجاتا)، والبشيطة السريانية، والحبشية، والعربية، الترجمة الأرمنية للقرن الخامس وغيرها، والتي تشهد بزيارة مريم المجدلية و"مريم الأخرى" للقبر مساء السبت، وكذلك قيامة الإله الإنسان التي حدثت قبل ذلك مباشرة.

في هذه المرحلة، وبما أننا انتهينا من دراستنا عن زمن قيامة المسيح، نجد أنفسنا أمام شيء غريب: النص اليوناني الأصلي لإنجيل متى وجميع الترجمات القديمة له دون استثناء (لاتينية، أرمنية، إثيوبية) (العربية والقبطية والسريانية) تشير بوضوح إلى أن قيامة المسيح حدثت بمجرد حلول الظلام يوم السبت، أي بعد وقت قصير من غروب الشمس، في حين أن جميع الترجمات الحديثة تقريبًا لإنجيل متى (الذي تم نشره بـ 1650 لغة ولهجة) يذكر أن قيامة المسيح تمت فجر يوم الأحد. هذا التباين كبير جدًا. يقول النص القديم "عند الغسق" والترجمات الحديثة تقول "عند الفجر". يكاد يكون هناك عكس كامل في المعنى.

يقول الإنجيلي لوقا أن النساء حاملات الطيب (أكثر من خمس) ذهبن إلى قبر يسوع قبل فجر يوم الأحد بقليل، بينما كان الظلام لا يزال قائمًا.

يقول الإنجيلي مرقس أن النساء حاملات الطيب (ثلاث عددهن) ذهبن صباح يوم الأحد.

يذكر الإنجيلي يوحنا امرأة واحدة فقط هي مريم المجدلية التي ذهبت إلى القبر ليلاً.

الإنجيلي متى، كما رأينا من فحصنا، يذكر مريم العذراء ومريم المجدلية، اللتين ذهبتا إلى القبر مساء السبت. حسابات كتبة الأناجيل تتفق لا على الوقت ولا على عدد الأشخاص.

نحصل على إجابة هذا السؤال الحاسم من ثلاث شخصيات بارزة في الكنيسة: القديس غريغوريوس النيصي، والقديس جيروم، والقديس غريغوريوس بالاماس.

يقول رئيس أساقفة تسالونيكي غريغوريوس بالاماس ما يلي: "كان هناك العديد من النساء حاملات الطيب، وقد أتين إلى القبر ليس مرة واحدة بل مرتين وثلاث مرات، في مجموعات، ولكن ليس في نفس المجموعة... ويذكر كل إنجيلي واحدة من هذه النساء". رحلات النساء لكنه يترك الآخرين[1]. يقدم غريغوريوس النيصي تفسيرًا مشابهًا كما يقول القديس جيروم: "هؤلاء النساء القديسات... إذ لم يستطعن تحمل غياب المسيح، ركضن إلى قبر الرب ليس مرة واحدة، ولا مرتين، بل مرارًا وتكرارًا، طوال الليل، خاصة". بعد الزلزال[2].

في ضوء هذه الأقوال يتضح أن زيارات النساء لقبر يسوع حدثت في أوقات مختلفة، وبالتالي لا يوجد تناقض بين كاتبي الأناجيل. ولكن إذا تعمقنا في هذه المسألة، فسنرى أن الزيارات لم تكن كلها منفصلة. لكي يكون هذا واضحًا، علينا أن نركز على نقطة مهمة جدًا: دافع النساء وهدفهن من الذهاب إلى القبر. النساء اللواتي ذكرهن مرقس ولوقا كن حاملات الطيب، إذ ذهبن إلى القبر لدهن جسد الإنسان الإله بالمر (حسب العادة اليهودية)، دون أن يؤمنن بإمكانية قيامة يسوع. ومع ذلك، فإن المريمتين اللتين يذكرهما متى، بالإضافة إلى مريم التي ذكرها يوحنا، لا توصفان بحاملات الطيب. لقد غادرت مريم العذراء ومريم المجدلية إلى القبر لسبب مختلف تمامًا: ببساطة "لرؤية القبر"، كما كتب متى. لم يكن بمقدور مريم العذراء أن تأخذ المر معها، لأنها عرفت وانتظرت قيامة ابنها وإلهها.

ويرى القديس كيرلس الإسكندري أن زيارتي المرأتين اللتين ذكرهما الإنجيليان متى ويوحنا تعتبران حدثًا واحدًا. وهو على حق. أما عن وقت الحدث فيرى كيرلس أن متى يتحدث عن أول الليل، بينما يوحنا يتحدث عن آخر الليل. ومن هنا يقبل كيرلس منتصف الليل كحل لمسألة الوقت، وهو أمر محترم تمامًا[3].

---

[1] Gregory Palamas, On the Sunday of the Myrrh-bearers, ΕΠΕ 9, p. 527 (

[2] Jerome, Ad Hedibiam, question 4, PL 22.988: "...sanctas feminas, Christi absentiam non ferentes, per totam noctem, non semel, nec bis, sed crebro ad sepulcrum Domini cucurrisse, praesertim cum terraemotus..." (

[3] Cyril of Alexandria, Interpretation on the Gospel of John, vol. 3, Oxford 1872, p. 109: ὁ μὲν γὰρ ἀπὸ τοῦ τέλους τῆς νυκτὸς, ὁ δὲ ἀπὸ τῆς ἀρχῆς λαβὼν, πρὸς τὸ βάθος ἕρπει τῶν ὡρῶν, καὶ εἰς αὐτὸ κάτεισι, καθάπερ ἔφην ἀρτίως, τὸ μεσαίτατον (

ومع ذلك، إذا فحصنا بعناية رواية يوحنا الإنجيلي، فسنرى أنها لا تشير بالضرورة إلى نهاية الليل. على العكس من ذلك، يمكن أن يشير إلى بداية الليل. ويقول يوحنا: "باكرًا في أول الأسبوع، والظلام باق، جاءت مريم المجدلية إلى القبر، ونظرت الحجر قد رفع عن الباب" (يوحنا 20: 1).

عبارة "أول يوم من الأسبوع" نفسها تحتوي على معنى المساء أو بداية يوم الأحد. نفس العبارة موجودة في أعمال الرسل 20: 7 وتعني بالضبط: ساعة المساء. أما كلمة πρωΐ (مبكرًا) التي في مقطع يوحنا، فلها معنيان في اللغة اليونانية القديمة. وبخلاف "الصباح" فهي تعني في الوقت المناسب "مبكراً" و"مبكراً جداً"[1].

وبما أن الآية في يوحنا تحتوي على عبارة σκοτίας ἔτι οὔσης ("وكان الظلام لا يزال")، فإن كلمة (proe) πρωΐ يمكن ترجمتها فقط على أنها "مبكرًا"[2]. إلى جانب ذلك، هكذا يتم ترجمته في جميع الترجمات الإنجليزية تقريبًا وفي الترجمة المعتمدة من قبل كنيسة اليونان.

ذهبت مريم المجدلية إلى القبر "باكراً" يوم الأحد. ومع ذلك، بالنسبة لليهود، بدأ يوم الأحد مساء يوم السبت. ومن ثم فإن كلمة "مبكرًا" تعني "مبكرًا في الليل". ذهبت مريم المجدلية إلى القبر لأول مرة في وقت مبكر من الليل مع مريم العذراء. ولهذا السبب حدد يوحنا أنه كان "لا يزال"[3] ظلامًا.

إذا ترجمنا الآية في يوحنا وفقًا لمعايير اليوم، فهي بلا شك تعني "قبل الفجر". ومع ذلك، إذا جعلناها وفقًا لمعايير التوقيت اليهودية في القرن الأول، فهي تعني "في بداية الليل". رأينا هو أنه يجب علينا مرة أخرى أن نتبع معايير ذلك الوقت، تمامًا كما فعلنا مع متى 28: 1.

رأت مريم المجدلية الحجر مدحرجًا والقبر الفارغ في بداية الليل، لكنها لم تر الإنسان الإله القائم، على عكس مريم العذراء التي رأته ولمسته. عادت مريم المجدلية إلى القبر في وقت لاحق من تلك الليلة، مع بطرس ويوحنا، وعندما بقيت وحدها، بعد مغادرة الرسولين، رأت المسيح المقام.

---

[1]) انظر قواميس ليدل-سكوت-جونز وستاماتاكوس Liddell-Scott-Jones and Stamatakos. تم العثور على كلمة πρωΐ لأول مرة في القرن الثامن قبل الميلاد في ملحمة هوميروس Homer's Odyssey (24، 28)، حيث تعني "مبكرًا جدًا".

[2]) يجب أيضًا تفسير مرقس 16: 9 بنفس الطريقة: "ولما قام يسوع باكراً في أول الأسبوع ظهر أولاً لمريم المجدلية التي كان قد أخرج منها سبعة شياطين". مرة أخرى، كلمة πρωΐ (مبكرًا) تعني "في بداية الليل".

[3]) كلمة (ἔτι) eti بالإضافة إلى كلمة "لا يزال" تعني أيضًا "المزيد" و"علاوة على ذلك"، وهو ما يناسب معنى العبارة بشكل أفضل. هناك أماكن كثيرة في العهد الجديد حيث تعني eti أكثر من ذلك؛ تقول رسالة العبرانيين 11: 32: "ماذا أقول أيضًا؟".

إن روايات يوحنا ومتى عن ذهاب النساء إلى القبر تتفق ليس فقط فيما يتعلق بالحدث الذي يصفونه، ولكن أيضًا فيما يتعلق بوقت الحدث. علاوة على ذلك، اختار كلاهما عدم ذكر مريم العذراء. لم يذكرها يوحنا مطلقًا، بينما يذكرها متى بطريقة غامضة: على أنها "مريم الأخرى". ولكن لماذا يمتنع الإنجيليون عن الكتابة عن حضور والدة الإله عند القبر؟

ويؤكد غريغوريوس بالاماس، كما سبق أن ذكرنا، أن الرسل لم يرغبوا في تصوير قيامة المسيح على أنها خبر بثته أمه، حتى لا يكون وقودًا للمحاربين ضد الإيمان المسيحي. علاوة على ذلك، في تلك الفترة الزمنية، كما يقول المؤرخ يوسيفوس، لم تكن شهادة المرأة، خاصة في المحاكمة، ذات قيمة تقريبًا. كتب يوسيفوس: "من النساء، لا يُقبل أي دليل، بسبب خفة وتهور جنسهن" (Antiq. 4.219). وكان هذا الرأي المهين سائدا في المجتمع اليهودي. لكن المسيح المقام أتى وأطاح بهذا: لقد ظهر فقط لمريم العذراء ومريم المجدلية، وبهذه الطريقة رفع جنس النساء المهمل. بالنسبة لأولئك الذين لم تسمح لهم المؤسسة اليهودية بالشهادة، اختار الله الإنسان أن يشهد على أهم دليل في تاريخ البشرية.

ولنعد إلى مسألة زمن القيامة. وفقًا لكل ما ذكر أعلاه، فقد توصلنا بالفعل إلى نتيجة واضحة: من كتبة الأناجيل الأربعة، فقط متى ويوحنا يخبراننا بشكل مباشر عن وقت قيامة المسيح. ومن هذين، فإن رواية متى هي بالتأكيد الأكثر وضوحًا ودقة فيما يتعلق بالوقت. وهذا بالضبط ما يقوله غريغوريوس النيصي، شقيق القديس باسيليوس الكبير والقديس مكرينا، الذي أشرنا إليه سابقًا في هذا القسم. ويحدد غريغوريوس الآن بشكل مؤكد وقت قيامة المسيح مساء يوم السبت ويطلق على متى لقب "العظيم"، إذ يعتبره الوحيد الذي يخبرنا بذلك الوقت. كتب غريغوريوس النيصي:

تفحصوا زمن القيامة وستجدون الحقيقة فيما أقوله لكم. إذن متى حدث ذلك؟ "عندما حل الظلام يوم السبت، صرخ ماثيو." هذا هو زمن القيامة، كما يظهر بوضوح في الإنجيل؛ هذه هي المدة التي مكث فيها الرب في الأعماق. أي أنه بينما كان المساء عميقا (المساء هو أول الليل الذي بدأ فيه يوم الأحد) كان حينئذ حدثت الزلزلة، كان حينئذ الملاك ذو الثياب البراقة يدحرج الحجر عن الأرض. القبر... ومتى الكبير وحده، من بين جميع كتبة الأناجيل، أعلن الساعة بدقة، قائلاً إن ساعة القيامة كانت مساء السبت[1].

[1] Gregory of Nyssa, On the Three-day Period of our Lord Jesus Christ’s Resurrection, Leiden (1967, Gregorii Nysseni opera, vol. 9, p. 289: ζήτησόν μοι λοιπὸν τὴν ἀναστάσιμον ὥραν καὶ

وكان غريغوريوس النيصي، الذي أطلق عليه لقب "أبو الآباء"، موضع تقدير أيضًا لعلمه، وخاصة معرفته اللغوية. ولهذا كان الأب الأنسب لتفسير الآية تفسيراً صحيحاً. فهو يذكر بوضوح وبشكل قاطع أن قيامة المسيح تمت مساء يوم السبت، وبشكل أكثر تحديدًا عندما كان "المساء العميق" - أي عندما بدأ الظلام يحل محله. يربط غريغوريوس كلمة epiphoskouse بالمساء ويوضح أن السطوع يوم الأحد بدأ عندما بدأ الظلام في "بداية تلك الليلة".

ويتخذ جيروم، الذي كان صديقًا لغريغوري، موقفًا مشابهًا. وقد طور الاثنان صداقة في القسطنطينية. في عام 407 م، كتب جيروم في إحدى رسائله إلى امرأة مؤمنة من بلاد الغال تدعى هيديبيا Hedibia ما يلي:

أنت تسأل أولاً لماذا يقول متى أن ربنا قام "مساء السبت"... والقديس مرقس، على العكس من ذلك، قال أنه قام في الصباح... [علينا] أن نؤكد أن متى ومرقس كلاهما قالا الحقيقة، أن ربنا قام مساء السبت، وأن مريم المجدلية رأته في صباح اليوم الأول من الأسبوع التالي [الأحد][1]. إن ساعة المساء العميق (βαθεία ἑσπέρα)، التي حافظ عليها غريغوريوس النيصي أيضًا، هي محددة جدًا في اللغة اليونانية. وكما قلنا من قبل، فهي الساعة التي يحل فيها الظلام الشديد[2].

وفي إنجيل يوحنا وصف للحدث نفسه أكثر تفصيلاً: "1 وَفِي أَوَّلِ الأُسْبُوعِ جَاءَتْ مَرْيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ إِلَى الْقَبْرِ بَاكِرًا، وَالظَّلاَمُ بَاق. فَنَظَرَتِ الْحَجَرَ مَرْفُوعًا عَنِ الْقَبْرِ. 2 فَرَكَضَتْ وَجَاءَتْ إِلَى سِمْعَانَ بُطْرُسَ وَإِلَى التِّلْمِيذِ الآخَرِ الَّذِي كَانَ يَسُوعُ يُحِبُّهُ، وَقَالَتْ لَهُمَا: «أَخَذُوا السَّيِّدَ مِنَ الْقَبْرِ، وَلَسْنَا نَعْلَمُ أَيْنَ وَضَعُوهُ!». 3 فَخَرَجَ بُطْرُسُ وَالتِّلْمِيذُ الآخَرُ وَأَتَيَا إِلَى الْقَبْرِ. 4 وَكَانَ الاثْنَانِ يَرْكُضَانِ مَعًا. فَسَبَقَ

εὑρήσεις τὴν ἐν τοῖς εἰρημένοις ἀλήθειαν. πότε οὖν τοῦτο ἐγένετο; Ὀψὲ σαββάτων, ὁ Ματθαῖος βοᾷ. αὕτη σοι ἡ ὥρα τῆς ἀναστάσεως κατὰ τὴν τοῦ εὐαγγελίου σαφήνειαν, οὗτος ὁ ὅρος τῆς ἐν καρδίᾳ διαγωγῆς τοῦ κυρίου· ἑσπέρας γὰρ ἤδη βαθείας γεγενημένης (ἀρχὴ δὲ ἦν τῆς νυκτὸς ἐκείνης ἡ ἑσπέρα, ἣν διαδέχεται ἡ μία τῶν σαββάτων ἡμέρα) τότε ὁ σεισμὸς γίνεται, τότε ὁ καταστράπτων τοῖς ἐνδύμασιν ἄγγελος ἀποκυλίει τὸν λίθον τοῦ μνημείου... ἀλλ' ὁ μέγας Ματθαῖος μόνος τῶν εὐαγγελιστῶν πάντων τὸν καιρὸν δι' ἀκριβείας παρεσημήνατο εἰπὼν τὴν ἑσπέραν εἶναι τοῦ σαββάτου ὥραν τῆς ἀναστάσεως.

[1]) Jerome, Ad Hedibiam, Letter 120, ch. 12, Question 3, PL 22.987: “aut hoc respondendum, quod uterque verum dixerit: Matheus, quando Dominus surrexerit vespere sabsabbati, Marcus autem, quando eum viderit Maria Magdalene, id est, mane prima sabbati”.

[2]) فيلو السكندري (15 ق.م – 45 م) يحدد عبارة βαθεία ἑσπέρα بأنها الوقت الذي تعود فيه السفن إلى ميناء الإسكندرية، حيث أصبح الظلام؛ انظر Flaccus, 27

التِّلْمِيذُ الآخَرُ بُطْرُسَ وَجَاءَ أَوَّلاً إِلَى الْقَبْرِ، 5 وَانْحَنَى فَنَظَرَ الأَكْفَانَ مَوْضُوعَةً، وَلكِنَّهُ لَمْ يَدْخُلْ. 6 ثُمَّ جَاءَ سِمْعَانُ بُطْرُسُ يَتْبَعُهُ، وَدَخَلَ الْقَبْرَ وَنَظَرَ الأَكْفَانَ مَوْضُوعَةً، 7 وَالْمِنْدِيلَ الَّذِي كَانَ عَلَى رَأْسِهِ لَيْسَ مَوْضُوعًا مَعَ الأَكْفَانِ، بَلْ مَلْفُوفًا فِي مَوْضِعٍ وَحْدَهُ. 8 فَحِينَئِذٍ دَخَلَ أَيْضًا التِّلْمِيذُ الآخَرُ الَّذِي جَاءَ أَوَّلاً إِلَى الْقَبْرِ، وَرَأَى فَآمَنَ،" (يو 20: 1-8).

فكيف تمكن بطرس ويوحنا، بينما كان الظلام لا يزال مظلمًا، من رؤية الأكفان الكتانية التي لف بها جسد يسوع داخل القبر؟ وخاصة يوحنا الذي لم يدخل القبر؟، الجواب يقدمه لنا القديس غريغوريوس النيصي في كتابه عن قيامة يسوع المسيح، إذ يكتب أن الذين تبعوا الرسول بطرس في تلك الليلة آمنوا بالقيامة لأن قبر المسيح امتلأ بالنور، الأمر الذي لم يكن فقط مرئية روحيا ولكن أيضا من خلال الحواس الطبيعية[1].

ويؤكد يوحنا الدمشقي بالمثل أن الرسول بطرس أصيب بالرهبة عندما واجه النور داخل القبر: فركض بطرس ووصل إلى القبر ورأى النور داخل القبر فخاف. ويذكر نفس القديس في كتابه خطبة سبت النور أيضًا أن النور الذي ملأ قبر المسيح في تلك الليلة كان نور الخالق غير المخلوق[2]، وهو نفسه الذي أشرق أثناء تجلي المسيح على جبل طابور. يكتب يوحنا الدمشقي: وهذا اليوم المشرق والمحمل بالنور يوم الأحد المقدس، الذي فيه يخرج النور غير المخلوق بشكل ملحوظ [من خلال البصر] من القبر، كعريس جميل من خلال جمال القيامة[3].

يقول غريغوريوس اللاهوتي : "... عيد الفصح المقدس والمشهور، أعظم يوم من كل الأيام والليلة المضيئة، اليوم الذي أبعد ظلام الخطيئة، والذي نحتفل فيه بخلاصنا تحت النور الغني."، ويقول إن هذه هي نسخة النور العظيم، بقدر ما تشرق السماء أعلاه، منيرة العالم كله بجمالها الخاص،

---

[1] Gregory of Nyssa, Περί της Αναστάσεως του Κυρίου ημών Ιησού Χριστού [On the Resurrection of Jesus Christ], ed. J.P. Migne, Patrologia Graeca (hereafter PG), 46.636d: «ιδόντες οι περί τον Πέτρον επίστευσαν… πλήρης γαρ ην ο Τάφος φωτός, ώστε και νυκτός ούσης έτι, διπλώς θεάσασθαι τα ένδον, και αισθητώς και πνευματικώς».

[2] John of Damascus, Δοξαστικό, Παρακλητική η Μεγάλη [Eulogy: The Great Prayer], Athens 1992, p. 349: «Και δρομαίος ο Πέτρος, επέστη τω μνήματι, και το Φως εν τω τάφω ορών κατεπλήττετο».

[3] John of Damascus, Λόγος εις το Άγιον Σάββατον [Oration on Holy Saturday], ed. J.P. Migne, PG 96, p. 628: "καί αυτή η της αγίας Κυριακής λαμπρά καί φαεσφόρος ημέρα, εν η τό άκτιστον φως σωματικώς εκ του τάφου πρόεισιν, ως νυμφίος ωραίος τω κάλλει της αναστάσεως".

وبقدر ما هي فوق سماوية، وبطبيعة مضيئة أولى في الملائكة، وبقدر ما هي في الثالوث، الذي جاء منه كل نور، من النور غير القابل للتجزئة الذي يُعتبر جزءًا منه ويُكرم؛ وهذا هو مقدمة للنور العظيم الموجود."

"وإذا كان النور الذي يُنير كل كنيسة بقوة ليلة القيامة (وهو صورة صهيون، كما أن المذبح الإلهي صورة قبر القيامة) مقدسًا ومُشرّفًا تمامًا، فكم بالأحرى يكون ذلك النور الذي ينبعث مباشرةً من القبر الأصلي المُحيي نفسه، والذي يُعتبر، كما يُمكنك القول بوضوح وفهم، جزءًا من النور الذي لا يتجزأ، أكثر احترامًا وسبقًا للنور العظيم؟ يا لتلك الليلة المقدسة العظيمة الغامضة، التي يحتفل فيها حشد لا يُحصى من الحجاج، من جميع الأمم، بأرواحٍ سامية وممتلئة بالإيمان والتبجيل، بخلاص الكون، واقفين أمام القبر الذي استقبل الرب، وينظرون منه إلى نسخة النور العظيم والنور المُبشّر وهو يرتفع! يا لذلك الفرح الذي يرافقهم، بأقدام وعقول مُبتهجة، حاملين الشموع، لملاقاة العريس، الفاتح. من الموت، يراقب عن كثب بعيون الإيمان وهو يخرج من ذلك القبر الإلهي نفسه، الذي قام منه جسديًا[1].

ولهذا السبب، تم منذ زمن بعيد إقامة احتفال مقدس خاص بالنور المقدس في فترة ما بعد ظهر عيد الفصح. السبت في نفس المكان الذي تم فيه دفن وقيامة المخلص المسيح، كما تشهد بذلك العديد من المعالم التاريخية، والتي نجد فيها أوصافًا لاحتفال النور المقدس. وفي "قانون القدس" (قانون كنيسة القدس)، الذي يعود تاريخه إلى النصف الثاني من القرن السابع، تم وصف احتفال النور المقدس على النحو التالي:

في سبت النور بعد الظهر، عند غروب الشمس، يدخل الأسقف والكهنة والشمامسة إلى كنيسة القيامة المقدسة ويغلقون الأبواب. يُجهّزون ثلاث مباخر ويتلون صلاة طويلة وأمنية. يضع الأسقف البخور في المبخرة ويحرقه بنفسه. يقود الأسقف، ويتبعه الكهنة والشمامسة، وينشدون مزمور " رنّموا للرب ترنيمة جديدة، رنّموا للرب يا كل الأرض" (لترنّم الأرض كلها للرب ترنيمة جديدة، لتُرنّم لتمجيد الرب)، ويطوفون حول الكنيسة. عند دخولهم الدرج المقدس، يتلون صلاة مطولة وصلاة مع ركوع، حيث يقول الأسقف ما يلي: "الآن أقوم ، يقول الرب، الآن أُمجّد، الآن أُرتفع" (الآن أقوم، يقول الرب، الآن أُمجّد، الآن أُرتفع). ثم يطوفون حول الكنيسة مرة ثانية وهم ينشدون ما يلي:

---

[1] Ιεροσολυμιτικό Κανονάριο (Τυπικό) σύμφωνα με τη μετάφραση του Ρωσικού, από τον (Αρχιμανδρίτη Κάλλιστο, Ιεροσόλυμα 1914, σελ. 68-69

"تبارك اسم الرب." بعد أن يصلوا إلى مدخل المذبح المقدس، يتلون صلاةً طويلة، وينشدون مزمور "رنّموا للرب ترنيمة جديدة"، ويطوفون حول الكنيسة في موكب للمرة الثالثة. بعد عودتهم إلى هناك، أمام مدخل المذبح المقدس، يتلون صلاةً طويلة. يعانق الأسقف الكهنة والشمامسة، ويباركون الشموع ويوقدون المصابيح. يفتحون الأبواب ويدخلون الكنيسة الكاثوليكية وهم ينشدون "يا رب، لقد صرخت" مع ترنيمة "أضئ، أنر أورشليم...". بعد "نور الفرح..." ، تُقرأ القراءات الاثنتي عشرة والقداس[1].

[1] Αρχιμανδρίτη Καλλίστου, Οι Άγιοι Τόποι στην Παλαιστίνη κτλ., τόμος Α', σελ. 276 και εξής (

شهادات مبكرة من القرون الأولى

ولما آمنت امرأة كلوديوس قيصر واعتمدت ذهبت إلى أورشليم وبحثت عن صليب السيد المسيح له المجد ويقال أن يعقوب كان أسقفاً على أورشليم في ذلك الوقت وأن اليهود يعرفون بهذ الأمور فأمرت فجمع لها رؤساء اليهود منهم حوساس الكاهن وعدليا بن قيافا وقالت لهم: ادفعوا أدفعوا لى الجلجلة والقبر والخشبات التي صلب عليها المسيح واللصان إلى يعقوب الأسقف فلما أمرتهم بذلك ذهبت إلى قبر المسيح فبينما هي داخلة إليه وقعت ابنتها من يدها فماتت فحزنت واكتأبت فقال لها بعض من خدمها: إن هذا الأمر لم يكن إلا لتظهر به قوة المسيح إلهنا مخلصنا، فلما سمعت المرأة ذلك من الخادم تعزت قليلاً وقبلت قوله ودعت الخشبات فأتوا بها فوضعت ابنتها على الخشبة الأولى والثانية فلم تتحرك فلما وضعت عليها الثالثة تحركت وعاشت ونهضت قائمة، فسلمت هذا الخشب إلى يعقوب الأسقف وبنت هناك كنيسة ورجعت إلى روما وأخبرت زوجها ومن كان هناك من أهلها بهذا الأمر[1]

فى رسالة القديس الأورشليمى إلى الإمبراطور قنسطنس Constantius الملك بمناسبة الظهور العجيب لصليب ضخم من النور فى 7 مايو عام 351م نظروه فى أورشليم فوق جبل الجلجثة المقدس ويمتد حتى جبل الزيتون المقدس : "لم ينظره شخص أو اثنان وإنما رأته الجماهير كلهاا فى المدينة بكل وضوح ، ليس إلى لحظات بل إلى عدة ساعات ، وكان نوره يغطى على نور الشمس ، فجأة اندفعت الجماهير إلى الكنيسة فى خوف ممتزج بالفرح وكانوا يسبحون ربنا يسوع المسيح"[2].

أن القبر كان لفترة طويلة مكبّ أتربة. ولكن الحفريات في منطقة أورشليم أوجدت قناديل من طين Ceramic تعود إلى القرون الأولى، قرب مكان القبر مكتوب عليها "نور المسيح يضيء للجميع"

[1]) كتاب العنوان لأغابيوس ابن قسطنطين الرومى المنبجى ص 248

[2]) القديس كيرلس الأورشليمى حياته مقالته لطالبى العماد، القمص تادرس يعقوب صـ 13

(التعبير ذاته يعلنه الأسقف في قداس السابق تقديسه حتى اليوم). وقد وجدتها الباحثة الألمانية جودي ماغنيس Jodi Magness سنة ١٩٨٨م[1].

يوسابيوس القيصرى فى تاريخه أشار الى ان النور المقدس يظهر في اورشليم وذكر حادثة مميزة للنور المقدس سنة 162 م في زمن الاسقف نركيسيوس أسقف اورشليم[2].
ويذكر مواطنو تلك الرعية معجزات أخرى كثيرة لنركيسوس Narcissus ، على تقليد الإخوة الذين خلفوه؛ ومن بينها يروون العجب التالي الذي قام به. يقولون أن الزيت قد نضب ذات مرة بينما كان الشمامسة يراقبون طوال الليل في عشية الفصح العظيمة. عندئذٍ أصيب الجمهور كله بالفزع، وأمر الأسقف نركيسوس أولئك الذين حضروا من أجل النور أن يملئوا الماء ويحضروه إليه. ولما فعلوا ذلك على الفور صلى على الماء، وبإيمان راسخ في الرب، أمرهم أن يسكبوه في المصابيح. وعندما فعلوا ذلك، خلافًا لكل التوقعات بقوة إلهية عجيبة، تحولت طبيعة الماء إلى طبيعة زيت. وقد تم حفظ جزء صغير منه حتى يومنا هذا من قبل العديد من الإخوة هناك كتذكار لهذه الأعجوبة[3].

لأنه كان في الماضي سعى أناس غير أتقياء (أو بالأحرى دعني أقول عن كل جنس الأرواح الشريرة من خلال هؤلاء الأشرار)، أن يسلموا إلى ظلمة النسيان ذلك المكان الإلهي الذى هو رمز للخلود الذي نزل منه الملاك المشع من السماء ودحرج الحجر عن الذين كانت قلوبهم متحجرة، وكانوا يظنون أن الحي لا يزال يرقد بين الأموات. وأعلن البشرى للنسوة أيضًا، وأزال عدم إيمانهن المتحجر القلب من خلال اقتناعهن بأن من يبحثن عنه هو حيّ. لقد فكر بعض الأشخاص الأشرار والملحدين في إزالة هذه المغارة المقدسة تمامًا عن أعين الناس، ظانين في حماقتهم أنهم بذلك سيكونون قادرين على حجب الحقيقة. وبناءً على ذلك، أحضروا كمية من التراب من مسافة بعيدة بجهد كبير، وغطوا المكان بأكمله؛ ثم بعد أن رفعوا التراب إلى ارتفاع معتدل، رصفوه بالحجارة، وأخفوا المغارة المقدسة

[1] J. Magness, "Illuminating Byzantine Jerusalem, Oil Lamps Shed Light On Early Christian Worship", Biblical Archeological Review, 24102 (March/April 1998), pp. 40-47

[2] Meinardus, Otto. The Ceremony of the Holy Fire in the Middle Ages and to-day. Bulletin de la Société d'Archéologie Copte, 16, 1961-2. P 242-253

[3] Eusebius, Ecclesiastical History, Book VI, ch. IX

تحت هذه الكومة الضخمة. ثم كما لو أن هدفهم قد تم إنجازه بفعالية، فإنهم أقاموا على هذا الأساس قبرًا مخيفًا حقًا للأرواح، من خلال بناء هيكل كئيب من الأصنام التي لا حياة لها للأرواح النجسة التي يسمونها فينوس، وتقديم القرابين البغيضة فيه على مذابح دنسة وملعونة. لأنهم افترضوا أن هدفهم لا يمكن تحقيقه بالكامل بطريقة أخرى، إلا عن طريق تغطية المغارة المقدسة تحت هذه الرجاسات الكريهة. هؤلاء الرجال التعيسون! لم يتمكنوا من فهم مدى استحالة أن تظل محاولتهم مستحيلة بالنسبة لمن توج بالنصر على الموت، مثلما هو الحال بالنسبة للشمس الحارقة، عندما ترتفع فوق الأرض، وتستمر في مسارها المعتاد في وسط السماء، وهو غير مرئي للجنس البشري كله في الواقع إن قدرته المنقذة التي تشرق بسطوع أعظم وتنير ليس أجساد البشر، بل أرواح البشر، كانت تملأ العالم بالفعل ببريق نوره. ومع ذلك، فإن مكائد الرجال الأشرار هذه سادت لفترة طويلة، ولم يظهر بعد أي من الحكام أو القادة العسكريين، أو حتى من الأباطرة أنفسهم، لديه القدرة على إلغاء هذه المؤامرة الشريرة، باستثناء إلا ذلك الذي يتمتع بنعمة من ملك الملوك. والآن هو يتصرف بإرشاد الروح الإلهي، لم يستطع أن يوافق على رؤية البقعة المقدسة التي تحدثنا عنها مدفونة هكذا من خلال مكائد الأشرار، تحت كل نوع من النجاسة، ومتروكة للنسيان والإهمال؛ ولم يستسلم لمكر أولئك الذين ارتكبوا هذا الذنب، بل طلب المعونة الإلهية، وأصدر أوامر بتطهير المكان تمامًا، معتقدًا أن الأجزاء الأكثر تلوثًا بواسطة العدو يجب أن تتلقى عناية خاصة، بوسائله من عظم النعمة الإلهية. وبمجرد صدور أوامره، تم إسقاط آلات الخداع هذه من مكانتها الفخمة إلى الأرض، وتم إسقاط مساكن الشر والتماثيل والأرواح الشريرة التي كانت تمثلها، وتم تدميرها بالكامل[1].

ولم تتوقف حماسة الإمبراطور هنا. لكنه أعطى أوامر أخرى بإزالة المواد التي تم تدميرها على هذا النحو، سواء من الحجر أو الخشب، وإلقائها بعيدًا عن المكان قدر الإمكان؛ وتم تنفيذ هذا الأمر أيضًا بسرعة. ومع ذلك، لم يكن الإمبراطور راضيًا عن المضي قدمًا إلى هذا الحد: ومرة أخرى، مشتعلًا بحماسة مقدسة، أمر بحفر الأرض نفسها إلى عمق كبير، وإزالة الأتربة الملوثة بشوائب عبادة الشيطان الكريهة ونقلها إلى مكان بعيد[2].

[1]) Life of Constantine (Book III) Chapter 26

[2]) Life of Constantine (Book III) Chapter 27

وقد تم إنجاز هذا أيضًا دون تأخير. ولكن بمجرد ظهور السطح الأصلي للأرض الذى كان الأتربة قد غطته، على الفور وعلى عكس كل التوقعات، تم اكتشاف المكان االمقدس الذى لقيامة مخلصنا. فقد قدمت هذه المغارة المقدسة بالفعل تشبيهًا صادقًا لقيامة الرب من بين الأموات، حيث أنه بعد دفنه في الظلام، ظهر مرة أخرى إلى النور، وقدم لكل من جاء ليشهد هذا المنظر، دليلاً واضحًا ومرئيًا على وجوده. والعجائب التي كانت تلك البقعة مسرحًا لها ذات يوم، شهادة قوية على قيامة المخلص أوضح من أي صوت يمكن أن يقدمها[1].

أقدم شهادة وصلت إلينا عن النور المقدس والتي يرجع تاريخها إلى سنة ٣٣٠ م أي منذ أكثر من ١٧٠٠ عام، بعد وقت قصير من قيام القديسة هيلانة ببناء أول كنيسة مسيحية (كنيسة القيامة القبر المقدس). فبينما كان القديس غريغوريوس الأرميني الملقب بالمُنير يخدم في مذبح القبر المقدس (٢٥٧-٣٣١م)، الذي بشّر الشعب الأرمني وجعله مسيحياً. يذكر واضع سيرته حرفياً "وضع القديس غريغوريوس قنديلاً فوق قبر المسيح وتضرع إلى الربّ بصلوات فاستضاء المكان بنور غير مادي"[2]، وقد تمّ ذلك قبل رقاد القديس بقليل أي حوالي ٣٢٩ أو ٣٣٠م.

كذلك مؤرخ الكنيسة Evsevi (القرن الرابع) يذكر أنه في ظل زمن البطريرك نارسيس (القرن الثاني) لم يكن هناك ما يكفي من الزيت في مصباح الأيقونة. فقام رجل بملأها ماءً من نبع سلوام. تم إشعال مصباح الزيت بالنار المقدسة واشتعلت فيه النيران طوال خدمة عيد الفصح[3].

ظل قبر السيد المسيح لفترة طويلة مكبّ أتربة. ولكن الحفريات في منطقة أورشليم أوجدت قناديل من طين Ceramic تعود إلى القرون الأولى، قرب مكان القبر مكتوب عليها: "نور المسيح يضيء

---

[1] Life of Constantine (Book III) Chapter 28 (

[2] H. Sarlikidis, The Holy Fire, Elaia Editions, Athens, 2011, p. 50; c. ref. Kiriakos Ganjakets'i's, (History of the Armenians, 11.2, ed. and trans. R. Bedrosian, NY 1986

[3] Evsevi Pamfil. Church history. Book 6. Chapter 9. 1-3 (

للجميع" (التعبير ذاته يعلنه الأسقف في قداس السابق تقديسه حتى اليوم). وقد وجدتها الباحثة الألمانية جودي ماغنيس Jodi Magness سنة ١٩٨٨م[1].

شهادة القديس ثيوذوروس الساباوي (من دير مار سابا)، وتعود لسنة ٨٣٦م. ولد القديس ثيوذوروس في مدينة حمص وصار راهباً في دير مار سابا. وقد دوّن رهبان الدير سيرة حياته بعد رقاده بقليل "حياة القديس ثيوذوروس الراهاوي" (لأنه صار مطران الرها Edessa في آخر حياته). في سيرته مكتوب: "في يوم السبت العظيم، بعد إضاءة القناديل من النور السماوي ..."[2].

كتب موناك برنارد Monac Barnard اللاتيني (865 م) : ومن الجدير أن نقول ما يحدث في يوم السبت العظيم، عشية عيد الفصح. في الصباح يبدأ المكتب في هذه الكنيسة. ثم، عندما ينتهي الأمر، يذهبون في غناء كيري إليسون حتى يأتي ملاك ويشعل الضوء في المصابيح المعلقة فوق القبر. ويمرر البطريرك بعضًا من هذا النور إلى الأساقفة وسائر الشعب، ولكل واحد منهم نور حيث هو قائم[3].

كتب مطران سيزاريا كابادوكيافى بداية القرن العاشر الميلادى : يكتب: كل عام حتى الآن في يوم قيامته المقدسة، يصنع قبره المقدس والثمين المعجزات.... [انطفأت جميع الأنوار في القدس، و] ... مع إغلاق الباب [القبر المقدس] . ...والمسيحيون يقفون خارجها في صحن أناستاسيس [الكنيسة المستديرة التي تضم الضريح] يبكون كيري إليسون، هناك وميض مفاجئ يضيء المصباح، ومرة أخرى يأخذ جميع سكان القدس من هذا النور و أشعل لهم[4].

---

[1]) J. Magness, "Illuminating Byzantine Jerusalem, Oil Lamps Shed Light On Early Christian Worship", Biblical Archeological Review, 24102 (March/April 1998), pp. 40-47

[2]) مخطوطات Iviron Codex 381 (in Russian), MS Sinai 544 (in Greek), Sinai Arabic MS 538 (in Arabic)

[3]) Mabilon. Acta Sancta. T. III. P. II. p. 473. Cited: Bishop Auxentios of Photiki. The Paschal Fire in Jerusalem: A Study of the Rite of the Holy Fire in the Church of the Holy Sepulchre

[4]) Bishop Auxentios of Photiki. The Paschal Fire in Jerusalem: A Study of the Rite of the Holy Fire in the Church of the Holy Sepulchre

يؤكد أيضاً الحارث أسقف قيصرية وفي رسالة إلى أمير دمشق العربي سنة 920م، أن عجيبة تحصل كل سنة يوم القيامة: "فيأتي أمير أورشليم (المسلم) ويختم القبر ويبقى بقربه ثم يرتّل المسيحيون في الكنيسة "يا رب ارحم" ثم يأتي نور بسرعة فائقة ويضيء القنديل"[1].

[1]) ref .c ,57 .H. Sarlikidis, p. مخطوط MS Mattei 303, fols. 98v – 99r; Library of the Moscow Patriarchate.

طقس ظهور النور المقدس

طوال الفترة الطويلة التي تم خلالها تسجيل معجزة النار المقدسة، خضعت الطريقة التي يتم بها أداء الطقس لتغيير مهم للغاية مرتبط بما إذا كان البطريرك موجودًا داخل القبر أم لا. فمنذ نهاية القرن الخامس عشر وحتى يومنا هذا، يتم الاحتفال بطريقة محددة: يدخل البطريرك اليوناني وحده إلى الغرفة الداخلية لكنيسة القيامة حيث يتلو صلاة خاصة ليسوع المسيح من أجل مجيئ النور أو النار المقدسة.

لكن قبل ألف عام، كانت الطقوس مختلفة تمامًا. وبحسب المصادر المكتوبة، فإنه في القرون الأولى التي سجلت فيها المعجزة من القرن التاسع إلى نهاية القرن الخامس عشر في الوقت الذي نزلت فيه النار المقدسة من السماء، لم يكن هناك أحد في داخل القبر المقدس . وقد تم ختم مدخل القبر بشمع العسل، تخليداً لختم القبر من قبل الحرس الروماني، وبقي البطريرك اليوناني خارج القبر بالقرب من المدخل، حيث تلا صلوات خاصة ليسوع المسيح من أجل ظهور النور أو النار المقدسة. تعود أقدم شهادة مكتوبة على هذه الطريقة للاحتفال بالطقوس إلى حوالي عام 920 (من قبل أريثاس Arethas)، وجميع الشهادات اللاحقة حتى عام 1480 تؤكد نفس الإجراء بالضبط. بمعنى آخر، لمدة ستة قرون تقريبًا، في الوقت الذي نزلت فيه النار السماوية وأضاء مصباح الزيت تلقائيًا في داخل المقبرة، كان القبر شاغرًا ومختومًا. ويؤدى البطريرك الصلوات المعتادة خارج القبر أمام المؤمنين.

عندما تنزل النار المقدسة، يصبح الضوء المتوهج الأبيض المزرق مرئيًا ومنتشرًا في جميع أنحاء المنطقة. وفي نفس اللحظة يضيء مصباح الزيت المشتعل ويمتلأ داخل القبر بالضوء. هذا الضوء، بحسب الشهادات، كان مرئيًا على الفور من خلال الشبكة المعدنية الموجودة عند مدخل القبر.

القبر من الداخل مظلم وفارغ تمامًا، فجأة يصبح الجزء الداخلي مغمورًا بالضوء ليس فقط من إضاءة المصباح، ولكن أيضًا من الضوء القادم من صخرة القبر نفسها. ثم يقوم قائد المدينة المسلم الذي كان يحمل مفاتيح القبر بفتح القبر ليدخل البطريرك. ثم يضيء البطريرك شموعه من المصباح ويخرج، ويمرر النور للمؤمنين. في كثير من الأحيان، لم يكن البطريرك هو الذي يدخل القبر، بل الأمير، وهو الحاكم المسلم للقدس.

استمرت هذه الطقوس المحددة دون كلل لمدة ستة قرون تقريبًا ولم تترك مجالًا للشك فيما يتعلق بصحة المعجزة. ولهذا السبب لم يشارك سكان المدينة المسلمون في الطقوس فحسب، بل قاموا أيضًا بنقل النار المقدسة إلى منازلهم ومساجدهم.

جميع الشهادات والروايات التي سنواجهها في الأقسام التالية، باستثناء أربعة مؤرخة بعد عام 1480، تصف المعجزة تحدث داخل قبر فارغ ومختوم.

في النصف الثاني من القرن الخامس عشر، حوالي عام 1480، تغيرت الطقوس الخاصة وتقرر أن الصلاة لنزول النار المقدسة لم يتم خارج القبر، بل في داخله من قبل البطريرك نفسه، بينما سيكون البطريرك الأرمني موجودًا في غرفة انتظار القبر باعتباره الشاهد الوحيد. أقدم شهادة على هذا التغيير تعود إلى عام 1481، من قبل الراهب الفرنسيسكاني بول فالتر Walther Paul، وبعد عامين، في عام 1483، لدينا شهادة مماثلة من المؤرخ السويسري فيليكس فابري Felix Fabri.

لكن جوهر المعجزة لا يتغير بحضور أو غياب البطريرك داخل القبر المقدس، لأن المعجزة لا تقتصر على إضاءة مصباح واحد، ولكن أيضًا شهادات الآلاف من الأشخاص الآخرين، تنتشر النار المقدسة داخل الكنيسة على شكل وهج أبيض مزرق. وينير أقسام الكنيسة ووجوه المؤمنين وأيقونات القديسين، ويضيء بشكل عفوي بعض السرج والشموع التي يحملها المؤمنون. النار يمكن أن تتخذ أشكالا عديدة. تظهر كنيسة القيامة في كثير من الأحيان كما لو كانت النيران مشتعلة بالكامل أو ينبعث منها ضوء، بينما في أحيان أخرى تظهر ألسنة لهب أو كرات من النار تخرج من القبر وتتحرك في الهواء.

في يومنا هذا، يبدأ الطقس صباح يوم سبت النور ويتكون من مراحل محددة:

1. في صباح يوم سبت النور تُطفأ جميع المصابيح داخل الكنيسة ويُختم القبر المقدس بشمع العسل.
2. عند الساعة الثانية عشرة ظهرًا، يدخل بطريرك الروم الأرثوذكس إلى الكنيسة وتبدأ الصلاة التقليدية، حيث يتم الطواف ثلاث مرات حول قبر المسيح.
3. بعد الصلاة يتم فتح القبر ويحمل إلى الخزانة مصباح الزيت المنطفئ إلى داخله، والذي سيتم إشعاله بالنار المقدسة.

4. بعد ذلك، يخلع البطريرك ثوبه الكهنوتي تعبيراً عن التواضع والخشوع أمام الرب يسوع المسيح ويبقى لابساً سترة بيضاء (stoicharion). يتم إعطاؤه أربع حزم تحتوي كل منها على 33 شمعة ويدخل القبر. ويتبعه ممثل الأرمن الذي يحق له الحضور في غرفة الانتظار، ومن هناك يراقب البطريرك. بمفرده داخل حجرة القبر الرئيسية، يقرأ البطريرك الصلاة المعينة وهو راكع ويتوسل إلى يسوع المسيح أن يقدم النور المقدس هدية بركة وتقديس للشعب. في هذه اللحظة تقريبًا تظهر النار المقدسة وتنتشر داخل الكنيسة، وفي نفس الوقت تشعل مصباح الزيت المشتعل دائمًا في داخل القبر. ويختتم الطقس بخروج البطريرك وتوزيع الشعلة المقدسة على المؤمنين.
أُضاء مصباح الزيت الدائم الاشتعال أو "غير النائم" الخاص بالقبر المقدس لأول مرة في عام 326، وهو العام الذي تم فيه اكتشاف قبر المسيح، وظل منذ ذلك الحين مضاءً لمدة سبعة عشر قرنا متتاليا.

تم العثور على أقدم شهادة على مصباح الزيت المشتعل دائمًا في سجل الحاج إيجيريا، الذي زارت قبر المسيح في 381-384. تصف الرحالة الإسباني صلاة الغروب التي يتم الاحتفال بها حول القبر، مشيرة إلى ما يلي:
لكن عند الساعة الرابعة عندهم ليتشنيكون Lychnicon، كما يسمونها، أو بلغتنا لوسيرنار Lucernare. يجتمع كل الشعب مرة أخرى في الأنسطاسية [كنيسة القيامة]، وتضاء جميع المصابيح والشموع، مما يجعلها مشرقة جدًا. لا تأتي النار من الخارج، بل من القبر حيث المصباح المشتعل دائمًا ليلًا ونهارًا. وبدون انقطاع، وراء الأعمدة. فينشدون المزامير النورانية (المزمور 140 "يا ربّ إليك صرختُ...") و الأنديفونات (بحسب القوانين الرسولية 7،48، هو النشيد المسائي، أي "يا نوراً بهياً لقدس مجد الآبِ...")[1].

[1] Egeria’s Travels 47:3, trans. J.Wilkinson, Warminster, 1999 (

شهادات المؤرخين العرب

المسعودى المتوفى سنة 346 هـ يذكر : ... واتفقوا على أن يكون فصح النصارى يوم الأحد الّذي يكون بعد فصح اليهود، وألا يكون فصح اليهود مع فصح النصارى وكان المقدم والرئيس في هذا المجمع الإسكندر، بطريرك الاسكندرية من بلاد مصر وهو بالرومية «بطريركس» تفسيره رئيس الآباء فخففف، وحضر اسطاث بطريرك انطاكية، ومارقس أسقف بيت المقدس، ويوليوس بطريرك رومية، وكان هذا الاجتماع في اليوم التاسع عشر من حزيران سنة 636 للإسكندر الملك وقيل انها السنة التاسعة عشرة من ملك قسطنطين وكثير من النصارى يعد ذلك من شمعون بن قلوفا فأضافها إليه، وبنت هيلانى بإيليا الكنيسة المعروفة بالقيامة في هذا الوقت الّذي يظهر منها النار في يوم السبت الكبير الّذي صبحه الفصح[1].

ويذكر المسعودى أيضاً : عيد كنيسة القيامة ببيت المقدس، وفي هذا اليوم تجتمع النصارى من سائر الارض، وتنزل عليهم نار من السماء، فيسرج هناك الشمع، ويجتمع فيه من المسلمين خلق عظيم للنظر الى العيد، ويقتلع فيه ورق الزيتون، ويكون للنصارى فيه اقاصيص، ولهذه النار حيلة لطيفة وسر عظيم، وقد ذكرنا وجه الحيلة في ذلك في كتابنا المترجم ب «كتاب القضايا والتجارب» وتشرين الثاني ثلاثون يوماً، وكانون الاول[2].

دوَّنَ الفقيه والعالم في الشريعة الإسلامية، أبي العباس أحمد بن أبي أحمد الطبري، المعروف بابن القاص، والمتوفي سنة 946م في كتابه "دلائِل القِبْلَة" وصفاً تفصيليّاً للطقس المسيحي الذي كان يقام في أيامه، في كنيسة القيامة، يوم السبت العظيم، عندما كانت أورشليم تحت الحكم الإسلامي العبّاسي. ويشهد كيف كان النور ينبعث بمعجزة من داخل قبر السيد المسيح، وهو فارغ ومُقفَل. ويُخبِر أن المسلمين أنفسهم كانوا يحضرون لمشاهدة المعجزة، وعلى رأسهم الأمير والإمام، الذين كانوا يُشعلون شموعهم من هذا النور. ويؤكِّد أن الشمعة كانت "تشتعل ولا تحترق". ثم يَذكُر أنهم

[1]) التنبيه والإشراف ، أبو الحسن على بن الحسين بن على المسعودي صـ 123

[2]) مروج الذهب ومعادن الجوهر ، أبو الحسن على بن الحسين بن على المسعودي جـ 2 صـ 181

كانوا يُسرجون من هذا النور، قناديل المسجد، والمقصود به "مسجد قُبَّة الصخرة"، الذي يعتبرونه ثالث أكبر مقدّساتهم بعد مكّة والمدينة يثرب.

وقد وصلتنا شهادة ابن القاص، مدوَّنة في خمسة مخطوطات، أشهرها المخطوطة (Veliyuddin 2453) المحفوظة في مكتبة بيازيت في إستانبول (القسطنطينية المُحتلَّة) وكذلك "مخطوطة أحمد تيمور" (Ahmad Taymur 103) الموجودة في المكتبة الوطنية بالقاهرة.

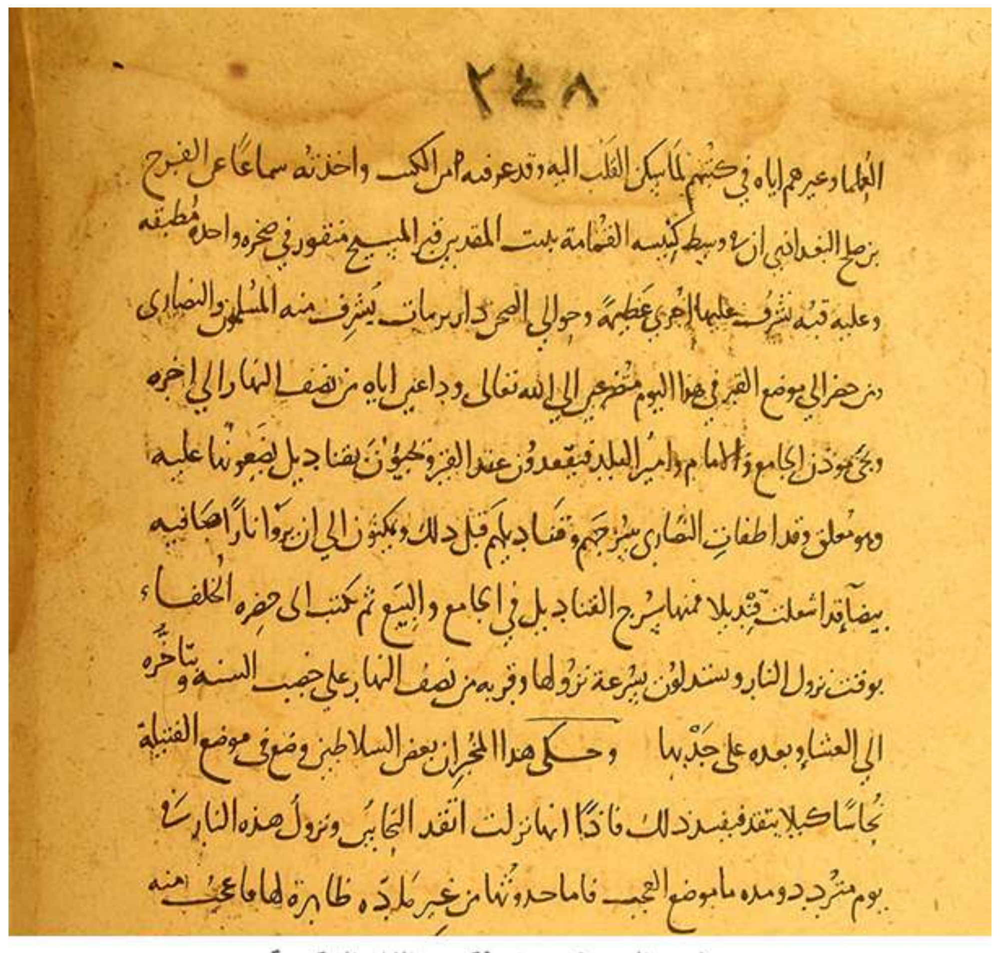
وفيما يلي نصّ كلامه حرفياً، مرفقاً بصورة المخطوطة: "فإذا كان فصح النصارى وهو يوم السبت الكبير وذلك يوم يخرج الناس من موضع القبر إلى الصخرة وحول الصخرة داربزينات يتطلعون إلى موضع القبر يبتهلون كلهم ويتضرعون إلى الله تعالى من وقت الأولى إلى المغرب ويحضر الأمير وإمام المسجد. ويغلق السلطان الباب الذي على القبر ويقعد على الباب. فهم على هذا حتى يرون نوراً كأنه نارٌ بيضاء تخرج من جوف القبر. فيفتح السلطان الباب عن القبر ويدخل إليها وفي يده شمعة فيشعلها من ذلك النور فيخرجها والشمعة تشتعل ولا تحترق. فيدفعها إلى الإمام فيأتي الإمام بتلك الشمعة فيشعل قناديل المسجد. فإذا تداولت تلك الشمعة ثلاثة أيدٍ احترقت بعد ذلك وصارت ناراً. ويكتب الخبر إلى السلطان ويُعلِمه أن النار نزلت في وقت كذا من يوم كذا. فإذا نزلت وقت الصلوات الأولى من ذلك اليوم كانت دليلاً عندهم على أن السنة ليست بخصبة ولا قحطة وإذا نزلت وقت العصر .دلّت على أن السنة قحطة"[1].

[1] (مخطوط MS Ahmad Taymur 103 (c. 1389), National Library of Egypt

إشارة ابن القاص إلى النار المقدسة في المخطوطة القيمة أحمد تيمور 103 (ج 1389) من مكتبة مصر الوطنية . يبدأ السرد في نهاية الصفحة 47 ويستمر في الصفحة 48

الفيلسوف والعالم الفارسي المسلم ابن البيروني يذكر إستشهاداً سنة ١٠٠٠م مشابهاً لإبن القصّ، ولكن يذكر تفصيلاً مهماً وهو أن بعض السلاطين المشككين وضعوا نحاساً بدل الفتيل في القنديل

لئلاً يضاء القنديل ولكن ما حدث أن النحاس إتقدَ وإستضاءَ القنديل من النور عبر النحاس وأنار البطريرك والشعب والشمعات. وتفصيل آخر يذكره البيروني أن النور هو أبيض صافي[1].


٣٤٨

العلماء وغيرهم إياه في كتبهم لما يسكن القلب إليه وقد عرفته من الكتب واخذته سماعا عن الفرج
بن صالح البغدادي ان في وسط كنيسة القمامة ببيت المقدس قبر المسيح منقور في صخرة واحدة مطبقة
وعليه قبة تشرف عليها اخرى عظيمة وحوالي الصخرة دار برمانات يشرف منه المسلمون والنصارى
ومن حضر الى موضع القبر في هذا اليوم متضرعين الى الله تعالى وداعين اياه من نصف النهار الى اخره
ويجي مؤذن الجامع والامام وامير البلد فيقعدون عند القبر ويجيئون بقناديل يضعونها عليه
وهو مغلق وقد اطفأ النصارى سرجهم وقناديلهم قبل ذلك ويمكثون الى ان يروا نارا صافيه
بيضا قد اشتعلت قنديلا فيسرج منها القناديل في الجامع والبيع ثم يكتب الى حضرة الخلفاء
بوقت نزول النار ويستدلون بسرعة نزولها وقربه من نصف النهار على خصب السنة وبتاخره
الى العشاء وبعده على جدبها وحكى هذا المخبر ان بعض السلاطين وضع في موضع الفتيلة
نحاسا كيلا يتقد فيفسد ذلك فاذا انها نزلت اتقد النحاس ونزول هذه النار في
يوم متردد دوره ما بموضع العجب فاما وجودها من غير مادة ظاهرة لها فاعجب منه

نص البيروني عن طقوس النار المقدسة
.. يبدأ السرد في نهاية الصفحة 347 ويستمر في الصفحة 348
MS Beyazit 4667, 17th c. Istanbul, Beyazit Library.

يذكر صبح الأعشى : "وهو قبل الفصح بيوم. يقولون: إن النور يظهر على مقبرة المسيح في هذا اليوم فتشتعل منه مصابيح كنيسة القمامة بالقدس. قال صاحب «مناهج الفكر» وغيره: وما ذاك إلا من تخييلاتهم النيرنجية التي يفعلها القسيسون منهم ليستميلوا بها عقول عوامهم الضعيفة، وذلك

[1] Karchkovsky, "Le 'feu beni', d'apres le recit d'Al Biruni et d'autres ecrivains musulmans du X au XIII siecles », Proches Orient Chretien 19 (1999)

أنهم يعلقون القناديل في بيت المذبح ويتحيلون في إيصال النار اليها بأن يمدوا على جميعها شريطا من حديد في غاية الدقة مدهونا بدهن البلسان ودهن الزنبق، فإذا صلوا وجاء وقت الزوال فتحوا المذبح فتدخل الناس إليه، وقد اشتعلت فيه الشموع ويتوصل بعض القوم إلى أن يعلق النار بطرف الشريط الحديد فتسري عليه فتتقد القناديل واحدا بعد واحد، إذ من طبيعة دهن البلسان علوق النار فيه بسرعة مع أدنى ملامسة، فيظن من حضر من ذوي العقول الناقصة أن النار نزلت من السماء فأوقدت القناديل"[1].

ويذكر الجاحظ فى كتابه الحيوان : "وما زالت السدنة تحتال للناس جهة النيران بأنواع الحيل، كاحتيال رهبان كنيسة القمامة ببيت المقدس بمصابيحها، وأن زيت قناديلها يستوقد لهم من غير نار، في بعض ليالي أعيادهم"[2].

أبى إياس الخراسانى المتوفى سنة 221 هـ يذكر فى نزهة الأمم : وسبت النور وهو قبل عيد الفسح بيوم ويزعمون أن النور يظهز على قبر المسيح فى هذا اليوم ولهم فى كنيستهم التي فى بيت المقدس فى ليلة سبت النور حركات يعملونها فى القناديل فتقدمن من غير فاعل لذلك[3].

يذكر عن الحُسَين بن منصُور الحلَّاجُ التُستَري البيضاويُّ الصُّوفيُّ المتوفى سنة 309 هـ : وفيها أيضاً عن زيد القصري قال: كنت بالقدس، إذ دخل الحلاج، وكان يومئذ يشعل فيه قنديل قمامة بدهن البَلَسان، فقام الفقراء إليه يطلبون منه شيئاً، فدخل بهم إلى القمامة، فجلس بين الشمامسة، وكان عليه السواد، فظنوه منهم، فقال لهم: متى يشعل القنديل؟ قالوا: إلى أربع ساعات. فقال: كثير. فأومأ بأصبعه، فقال: الله. فخرجت نار من يده، فأشعلت القنديل، واشتعلت ألف قنديل حواليه، ثم ردت النار إلى أصبعه، فقالوا: من أنت؟ قال: أنا حنيفي، أقل الحنيفيين، تحبون أن أقيم أو أخرج؟ فقالوا: ما شئت. فقال: أعطوا هؤلاء شيئاً. فأخرجوا بدرة فيها عشرة آلاف درهم للفقراء.

---

[1]) صبح الأعشى في صناعة الإنشا للقلقشندى جـ 2 صـ 456

[2]) الحيوان للجاحظ جـ 4 صـ 500

[3]) نزهة الأمم في العجائب والحكم ، آدم بن أبى إياس جـ 1 صـ 239

فهذه الحكاية وأمثالها ما صح منها فحكمه أنه مخدوم من الجن[1]. أعتقد أن كاتب هذه الرواية قد شطح بها جنان فكره

وينقل عنه الذهبى المتوفى فى 748 هـ بسير أعلام النبلاء بدون أن يتحقق من صحة الرواية : قَالَ عَلِيُّ بنُ مَحْمُوْدٍ الزَّوْزنِيّ: سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بنَ مُحَمَّدِ بنِ ثوَابَة يَقُوْلُ: حَكَى لِي زيد القَصْرِيُّ، قَالَ: كُنْتُ بِالقُدْس، إِذْ دَخَلَ الحَلاَّج، وَكَانَ يَوْمَئِذٍ يُشْعَلُ فِيْهِ قنديلُ قُمَامَةٍ بدُهن البَلَسَان (١) ، فَقَامَ الفُقَرَاء إِلَيْهِ يطلُبُونَ مِنْهُ شَيْئاً، فَدَخَلَ بِهِم إِلَى القُمَامَة، فَجَلَسَ بَيْنَ الشَّمَامِسَة (١) ، وَكَانَ عَلَيْهِ السَّوَاد، فَظنُّوهُ مِنْهُم، فَقَالَ لَهُم: مَتَى يُشعل الْقنْدِيل؟ قَالُوا: إِلَى أَرْبَع سَاعَات. فَقَالَ: كَثِيْر. فَأَومأَ بِأُصبعه، فَقَالَ: الله. فَخَرَجت نَارٌ مَنْ يَده، فَأَشعلتِ الْقنْدِيل، وَاشتعلت أَلفُ قِنديل حوَاليه، ثُمَّ رُدَّت النَّارُ إِلَى أُصْبُعه، فَقَالُوا: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا حنيفيّ، أَقلُّ الحنيفيين، تُحِبُّون أَنْ أُقيم أَوْ أَخرج؟ فَقَالُوا: مَا شِئْت. فَقَالَ: أَعطُوا هَؤُلاَءِ شَيْئاً. فَأَخرجُوا بَدْرَةً (٢) فِيْهَا عَشْرَة آلاَف دِرْهَم لِلْفُقَرَاء[2].

ويذكر ابو بكر الواسطى : "فمن ذلك، ما وقع في شهور سنة ثمان وتسعين وثلاث مئة، أن الحاكم بأمر الله أبا علي المنصور بن العزيز الفاطمي خليفة مصر أمر بتخريب كنيسة القمامة من بيت المقدس، وأباح للعامة ما كان بها من أموال وأمتعة وغير ذلك؛ وكان ذلك بسبب ما انتهى إليه من الفعل الذي تتعاطاه النصارى يوم الفصح من النار التي يحتالون بها، بحيث يتوهم الأغمار من جهلتهم أنها تنزل من السماء وأنها مصبوغة بدهن البيلسان في خيوط الإبريسم الرفاع المدهونة بالكبريت وغيره بالصنعة اللطيفة التي تروج على العظام منهم والعوام، وهم إلى الآن يستعملونها في القمامة، ويسمى ذلك عندهم سبت النور"[3].

ويذكر ابن تيمية : " ليلة النور، وسبت النور، ويصطنعون مخرقة يروجونها على عامتهم، لغلبة الضلال عليهم، يخيلون إليهم أن النور ينزل من السماء في كنيسة القمامة التي ببيت المقدس، حتى

---

[1]) موسوعة مواقف السلف الجزء الرابع صـ 537

[2]) سير أعلام النبلاء ، شمس الدين، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي جـ 14 صـ 333-334

[3]) فضائل البيت المقدس، صـ 38

يحملوا ما يوقد من ذلك الضوء إلى بلادهم متبركين به، وقد علم كل ذي عقل أنه مصنوع مفتعل، ثم يوم السبت يتطلبون اليهود"[1].

ويذكر ابن كثير : " أمر الحاكم العبيدي بتخريب كنيسة القمامة من بيت المقدس وأباح للعامة ما كان فيها من الأموال والأمتعة وغير ذلك، وكان سبب ذلك ما أنهي من البهتان الذي يتعاطاه النصارى في يوم الفصح من النار التي يحتالون لها، بحيث يتوهم الأغمار من جهلتهم أنها نزلت من السماء، وإنما هي مصنوعة بدهن البلسان في خيوط الإبريسم الرفاع المدهونة بالكبريت وغيره، بالصنعة اللطيفة التي تروج على الطغام منهم والعوام، وهم إلى الآن يستعملونها في ذلك المكان بعينه. "[2].

ويذكر شهاب الدين النويرى : "ومنها سبت النور. وهو قبل الفصح بيوم. يقولون إن النور يظهر على مقبرة المسيح فى هذا اليوم، فتشتعل منه مصابيح كنيسة القيامة التى بالقدس. وليس كذلك، بل هو من تخييلات فعلها أكابرهم ليستميلوا بها عقول أصاغرهم. وقيل إنهم يعلقون القناديل فى بيت المذبح، ويتحيلون فى إيصال النار إليها بأن يمدوا على سائرها شريطا من حديد فى غاية الدقة، يدهنونه بدهن البلسان ودهن الزنبق. فإذا صلوا، وحان وقت الزوال، فتحوا المذبح، فدخل الناس إليه، وقد أشعلت فيه الشموع. ويتوصل بعض القوم إلى أن يعلق بطرف الشريط الحديد النار فتسرى عليه، فتقد القناديل واحدا بعد واحد بسبب الدهن."[3].

ويذكر ابن الفقيه : "وما زالت السدنة تحتال للناس من جهة النيران بأنواع الحيل كاحتيال رهبان كنيسة القيامة ببيت المقدس بقولهم إنهم في بعض الأعياد يطفئون سائر القناديل التي في البيعة، وإن نارا تنزل من السماء حتى تلهب قنديلا قد جعلوه لذلك، وإن النار التي تلهبه تكون مضيئة ليست لها حرارة، فكلما ألهب منها قنديل آخر أخذت في الاحمرار والحرارة حتى تعود إلى الطبع."[4].

---

[1]) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم صـ 532

[2]) كتاب البداية والنهاية - ت التركي جـ 15 صـ 521

[3]) نهاية الأرب في فنون الأدب جـ 1 صـ 193

[4]) البلدان لابن الفقيه صـ 510

شهادة أحمد بن علي المقريزي فى كتابه "اتعاظ الحنفاء" كتب يقول : "فإذا كان يوم الفصح واجتمع النصارى بقمامة ونصبت الصلبان وعلقت القناديل في المذبح تحيلوا في إيصال النار إليه بدهن البيلسان مع دهن الزئبق فيحدث له ضياء ساطع يظن من يراه أنها نار نزلت من السماء"[1].

يذكر المقريزى فى كتابه المواعظ والاعتبار في ذكر الخطب والآثار: "وصارت المملكة كلها من أحوال الجيوش وأمور الأموال وغيرها متعلقة بالفخر إلى أن غضب عليه السلطان ونكبه وصادره على أربعمائة ألف درهم نقرة وولى وظيفة نظر الشيخ قطب الدين موسى بن شيخ السلامية ثم رضي عن الفخر وأمر بإعادة ما أخذ منه من المال إليه وهو أربعمائة ألف درهم نقرة فامتنع وقال: أنا خرجت عنها للسلطان فليبين بها جامعًا وبنى بها الجامع الناصريّ المعروف الآن بالجامع الجديد خارج مدينة مصر بموردة الحلفاء وزار مرّة القدس وعبر كنيسة القمامة فسُمع وهو يقول عندما رأى الضوء بها: ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا"[2].

شهادة أبو الريحان البيروني (٩٧٣م -١٠٥٠م) عن النور المقدّس.
"ويحكى لسبت القيامة حكاية يبهت لها صاحب العلم الطبيعي بل لا يوجد مقرا بها، ولولا اطباق الخصوم على الأخبار عنه ذاكرين مشاهدته وتخليد الفضلاء من العلماء وغيرهم اياه في كتبهم لما يسكن القلب إليه، وقد عرفته من الكتب وأخذته سماعا عن الفرج بن صالح البغدادي ان في وسط كنيسة القمامة ببيت المقدس قبر المسيح منقور في صخرة واحدة مطبقة وعليه قبة تشرف عليها أخرى عظيمة وحوالي الصخر دار برمات يشرف منه المسلمون والنصارى ومن حضر إلى موضع القبر في هذا اليوم متضرعين إلى الله تعالى وداعين اياه من نصف النهار إلى اخره . ويجئ مؤذن الجامع والإمام وأمير البلد فيقعدون عند القبر ويجيئون بقناديل يضعونها عليه وهو معلق، وقد أطفأت النصارى سرجهم وقناديلهم قبل ذلك ويمكثون إلى أن يروا نارا صافية بيضاء قد اشعلت قنديلا فمنها سرج القناديل في الجامع والبيع. ثم يكتب إلى حضرة الخلفاء بوقت نزول النار

---

[1]) أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي " اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء" الفصل الثاني تحت سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة.

[2]) أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي – " المواعظ والاعتبار في ذكر الخطب والآثار" الجزء الرابع

ويستدلون بسرعة نزولها وقربه من نصف النهار على خضب السنة وبتأخره إلى العشاء وبعده على جدبها. وحكى هذا المخبر أن بعض السلاطين وضع في موضع الفتيل نحاسا كيلا يتقد فيفسد ذلك فانها اذا نزلت اتقد النحاس. ونزول هذه النار في يوم .متردد ومدة ما .موضع .العجب"[1].

البيرونى (حوالى 1000 م) كتب : "اطفأ المسيحيون مصابيحهم وظلوا فى أنتظار النار التى تنزل و تضئ شموعهم .. هذه النار تضى الشموع فى الكنائس و المساجد (!) .. وقد تم كتابة تقرير إلى الخليفة " إلى أخره ، أيضاً "الحاكم أحضر سلكا نحاسيا بدلا من فتيل الشموع، معتقداً ان النور لن يحدث لآنه لن يضئ النحاس ! لكن المعجزة حدثت و النار سطعت و أذابت النحاس "[2].

ويذكر الخوارزمى الكتوفى سنة 440 هـ فى الآثار الباقية : وقد عرفته من الكتب، واخذته سماعا عن الفرج بن صالح البغدادى انّ في وسط كنيسة «القمامة» ببيت المقدس، قبر المسيح منقور في صخرة واحدة مطبقة، وعليه قبّة تشرف عليه اخرى عظيمة، وحوالى الصخر دار «برمات» يشرف منه المسلمون والنصارى، ومن حضر الى موضع القبر في هذا اليوم، متضرعين الى الله - تعالى - وداعين ايّاه، من نصف النهار الى آخره. ويجيء مؤذّن الجامع، والامام وامير البلد، فيقعدون عند القبر، ويجيئون بقناديل يضعونها عليه وهو معلق؛ وقد اطفأت النصارى سرجهم وقناديلهم قبل ذلك، ويمكثون الى أن يروا نارا صافية بيضاء، قد اشعلت قنديلا، فمنها سرج القناديل في الجامع والبيع. ثم يكتب الى حضرة الخلفاء، بوقت نزول النار، ويستدلّون بسرعة نزولها، وقربه من نصف النهار على خصب السنة، وبتأخّره الى العشاء وبعده على جدبها.

و حكى هذا المخبر: أن بعض السلاطين، وضع في موضع الفتيلة نحاسا، كيلا يتّقد، فيفسد ذلك، فانها اذا نزلت، اتّقد النحاس. ونزول هذه النار، في يوم متردّد ومدّة ما، موضع العجب، فأما حدوثها، من غير مادّة ظاهرة لها، فأعجب منه. [واعجب منه] ما لا شكّ فيه، لو جرّدت شرائط صحّة الخبر فيه، من امر الكنيسة التى في بعض قرى مصر؛ وقد شاهدها الموثوق بقولهم، المأخوذ برأيهم المأمون، من جهتهم التمويه عليهم؛ ومنهم، فزعموا أن فيها سردابا، ينزل اليه بنيف وعشرين مرقاة؛ وفيه سرير، تحته رجل وصبى مشدودان في نطع، وفوقه تور رخام، في جوفه باطية زجاج،

---

[1]) مخطوط رقم ٤٦٦٧ بمكتبة بيازِت، تركيا. ص ٣٤٧- ٣٤٨

[2]) / Chronology of the Muslim scholar Al-Biruni (973 - 1048). Al Biruni / In the Garden of Science / Reklam - Leipzig 1991. English translation.

داخلها فتيلة نحاسة، في جوفها فتيلة كتّان تتوقد؛ فيصبّ فيها زيت، فلا يلبث أن تمتلئ الباطية الزجاج زيتا، ويفيض الى التور الرخام، فينفق ذلك على الكنيسة، و ذكر الجيهانى انه: صار اليه من وثق به، ورفع الباطية عن التور، وافرغ الزيت عن الباطية والتور جميعا، واطفأ النار، واعادها جميعا الاّ الزيت [فانه] صبّ زيتا من عنده؛ وابدله فتيلة اخرى، واشعلها، فما لبث ان فاض الزيت الى الباطية الزجاجية، ثم فاض الى التور الرخام، من غير مادّة ظاهرة ولا عنصر. وذكر انه: اذا اخرج الميت من تحت السرير [1].

سنة 1009م، وكان الخليفة الفاطمي الحكيم حاكماً في مصر، أمر هذا الخليفة أن تهدم كنيسة القيامة في أورشليم. لماذا؟ لأنه عرف أن مسيحيين كثر من بلاد مصر وسورية وفلسطين يحجون كل سنة إلى كنيسة القبر ليعاينوا ويتباركوا من النور المقدس، وقد تزايد عددهم، فخاف أن يمتدّ هذا التزايد ويطال مسلمين، لذلك أمر بهدمها.

وقيل في أخبار الحاكم بأمر الله أنه أمر في سنة ٣٩٨ هـ بهدم بيعة القمامة في بيت المقدس وهي بيعة عند النصارى جليلة في نفوسهم يعظمونها والسبب في ذلك ما اتصل به من هدم الكنائس والبيع بمصر والشام والزم أهل الذمة الغيار ما قيل أن العادة جارية جاريةً بخروج النصارى بمصر في كل سنة في العماريات إلى بيت المقدس بحضور فصحهم في بيعة قمامة فخرجوا في سنة ٣٩٨ على رسمهم في ذلك متظاهرين بالتجمل الكبير على مثل حال الحاج في خروجهم فسأل الحاكم ختكين العضدي الداعي وهو بين يديه عن أمر النصارى في قصدهم هذه البيعة وما يعتقدونه فيها واستوصفه صفتها وما يدعونه لها وكان ختكين يعرف أمرها بكثرة تردده إلى الشام وتكرره في الرسائل عن الحاكم إلى ولاتها فقال: هذه بيعة تقرب من المسجد الأقصى تعظمها النصارى أفضل تعظيم وتحج إليها ند فصحهم من كل البلاد وربما صار إليها ملوك الروم وكبراء البطارقة متنكرين ويحملون إليها الأموال الجنة والثياب والستور والفروش ويصوغون لها القناديل والصلبان والأواني من الذهب والفضة وقد اجتمع فيها من ذاك على قديم الزمان وحديثه الشيء العظيم قدر ما لمختلفة أصنافه فإذا حضروا يوم الفصح فيها وأظهروا مطرانهم ونصبوا صلبانهم وأقاموا صلواتهم

[1]) الأثار الباقية عن القرون الخالية، أبي الريحان محمد بن أحمد البيروني صـ 393

ونواميسهم فهذا الذي يدخل في عقولهم ويوقع الشبهة في قلوبهم ويعلقون القناديل في بيت المذبح ويحتالون في إيصال النار إليها بدهن البلسان والته ومن طبيعته حدوث النار فيه مع دهن الزنبق وله ضياء ساطع وإزهار لامع يحتالون بحيلة يعملونها بين كل قنديل وما يليه حديداً ممدوداً كهيئة الخيط متصلاً من واحد إلى الآخر ويطلونه بدهن البلسان طلياً يخفونه من الأبصار حتى يسري الخيط إلى جميع القناديل فإذا صلوا وحان وقت النزول فتح باب المذبح وعندهم أن مهد عيسى عليه السلام فيه وأنه عرج به إلى السماء منه ودخلوا وأشعلوا الشموع الكثيرة واجتمع في البيت من أنفاس الخلق الكثير ما يحمي منه الموضع ويتوصل بعض القوام إلى أن يقرب النار من الخيط فيعلق به وينتقل بين القناديل من واحد إلى واحد ويشعل الكل ويقدره من يشاهد ذلك أن النار قد نزلت من السماء فاشتعلت تلك القناديل. فلما سمع الحاكم هذا الشرح استدعى بشر بن سور كاتب الانشاء وأمره بأن يكتب كتاباً إلى والي الرملة وإلى أحمد ابن يعقوب الداعي بقصد بيت المقدس واستصحاب الأشراف والقضاة والشهود ووجوه البلد وينزلا على بيت المقدس وقصد بيعة قمامة وفتحها ونهبها وأخذ كل ما فيها ونقضها وتعفية أثرها فإذا نجز الأمر في ذلك يعملانه محضراً وفيه الخطوط وينفذانه إلى حضرته. ووصل الكتاب إليهما فتوجها للعمل بما مثل إليهما وقد كانت النصارى بمصر عرفوا ما تقدم في هذا الباب فبادروا إلى بطرك البيعة وأعلموه الحال وأنذروه وحذروه فاستظهر بإخراج ما كان فيها من الفضة الذهب والجواهر والثياب ووصل بعد ذلك أصحاب الحاكم فأحاطوا بها وأمروا بنهبها وأخذوا من الباقي الموجود ما عظم قدره وهدمت أبنيتها وقلعت حجراً حجراً وكتب بذلك المحضر وكتبت الخطوط فيه كما رسم وأنفذ إلى الحاكم[1].

ولما استقر قدم ملك الألمان في أنطاكية أخذها من صاحبها وحكم فيها، وكان بين يديه فيها ينفذ أوامره، فأخذها منه غيلة وخديعة وأودعها خزائنه وسار عنها في الخامس والعشرين من رجب متوجها نحو عكا في جيوشه وجموعه على طريق اللاذقية حتى إلى طرابلس، وكان قد سار إليه من معسكر الإفرنج يلتقيه المركيس صاحب صور، وكان من أعظمهم حيلة وأشدهم بأساً، وهو الأصل في تهييج الجموع من وراء البحر. وذلك أنه صوّر القدس في ورقة، وصوّر فيه صورة القمامة التي

[1]) تاريخ دمشق لابن القلانسي صـ108-109

يحجون إليها ويعظمون شأنها وفيه قبة قبر المسيح الذي دفن فيه بعد صلبه بزعمهم، وذلك القبر هو أصل حجهم، وهو الذي يعتقدون نزول النور عليه في كل سنة في كل عيد من أعيادهم[1].

ويذكر ابن الجوزى : وفى هذه السنة ورد الخبر بأن الحاكم صاحب مصر هدم بيعة قمامة وهذه البيعة تجاور بيت المقدس وهى عظيمة القدر عند النصارى وكانوا يخرجون فى كل سنة من المواضع فى العماريات الى بيت المقدس لحضور فصحهم وربما جاء ملك الروم وكبراء بطارقته متنكرا ويحملون اليها الاموال والثياب والستور والفروش ويصوغون لها القناديل والاوانى الذهب والفضة واجتمع فيها مع الزمان مال عظيم فاذا اجتمعوا يوم الفصح اظهروا زينتهم ونصبوا صلبانهم ويعلق القوم القناديل فى بيت المذبح ويجعلون فيها دهن الزيتون ويجعلون بين كل قنديلين كالخيط من الحديد متصلا ويطلونه بدهن البلسان ويقرب بعض القوم النار من خيط منها بحيث لا يعلم الحاضرون فيشعلونه وينتقل من القناديل فيشعل الكل ويظن من حضر انها نار نزلت من السماء فيكثر تكبيرهم وضجيجهم فلما وصفت هذه الحالة للحاكم تقدم بان يكتب الى والى الرملة والى احمد بن يعقوب الداعى بأن يقصدوا بيت المقدس ويستصحبا الاشراف والقضاة والشهود ووجوه البلد وينزلا ببيعة قمامة ويبيحا العامة نهبها وأخذ ما فيها ويتقدما بنقضها وتعفيه أثرها وبلغ الخبر النصارى فأخرجوا ما في البيعة من جوهر وثياب وذهب وفضة فأنتهب ما بقي وهدمت[2].

وفى المسالك والممالك لأبى عبيد البكرى المتوفى سنة 487 هـ : وبإيليا الكنيسة العظمى الّتي وسطها صيهون، وهي العتيقة وهي الّتي يتعبّد فيها داود وفي وسطها قبر المسيح بزعمهم. فإذا كان يوم عيدهم ويوم السبت الكبير يخرج الناس من موضع القبر إلى الصخر، وحوالي السطح درابزين من أبنوس يشرفون منه على موضع القبر وكلّهم يتضرّعون إلى الله عزّ وجلّ من وقت الأولى إلى المغرب، والإمام الّذي يؤمّ بالناس في المسجد الجامع قاعد مع الأمير، فهم على هذا حتّى يروا نارا بيضاء تخرج من جوف القبر، فيفتح السلطان الباب عن القبر ويدخل وفي يده شمعة فيوقدها في تلك النار فيرفعها إلى الإمام فيأتي الإمام بتلك الشمعة إلى المسجد الجامع فيشعل بها، القناديل، فإذا تداولت تلك

[1]) النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، القسم الثانى ص، 207

[2]) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزى جـ 7 صـ 239

الشمعة ثلاث أيد اتّقدت كلّها وصارت نارا للعالمين. ويكتب الأمير بخبر ذلك إلى السلطان ويعلّمه أنّ النار نزلت في وقت كذا وكذا من يوم كذا، فإذا نزلت تلك النار وقت الأولى من ذلك [اليوم] كان دليلا على أنّ السنة تكون خصيبة، وإذا تأخّرت ونزلت وقت العصر دلّت على أنّ السنة [تكون] قحطة. وهذه النار تنزل في يوم فصحهم[1].

ثم يذكر ابو عبيد البكرى فى نفس الفصل : هكذا نقل بعض المؤرّخين وهو أمر غير صحيح، وإنّما كانت هذه حيلة وناموس عمل من نواميس أسقف بيت المقدس، فكان يعمد إلى خيط إبريسم رقيق طويل فيدخله من وراء الحائط إلى القبر ويخرج من القبر إلى سرج الثريا وهو مدهون بالبلسان وتشتعل النار فيه من وراء الحائط بغلافين قد اتّخذهما لا صبعيه من خشب نوري، وتسري النار في البلسان حتّى يتّقد منها السراج. ففضحه علي بن إبراهيم الوزير أيّام كونه هناك وكشف للناس وجه حيلته وضرب في عنقه فبطلت النار من ذلك الوقت. وإن كذلك فلماذا النور يفج إلى الآن ؟!

وفى تاريخ حكماء الإسلام لـ ظهير الدين البيهقى المتوفى عام 565 هـ يذكر عن أبو سهل الطبيب المسيحى أنه قال : ... كيف أعدل عن حكم المسيح والنار نازلة فى كنيسة القيامة وتدل تلك النار أن الليلة التى رفع فيها الله عيسى إلى السماء ليلة النصف من نيسان وفى هذه الليلة كل سنة كانت تنزل نار من الأثير بحيث يراها الناس وتشتعل قناديل القيامة من غير أن تكون كوة ولا فرجة فى سقف ذلك البيت بل تغوص النار فى السقف ومن غير أن يحرق الخشب ثم توقد السرج والمشاعل فإذا طلع الفجر انطفأت[2].

وكذلك يذكر محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز شمس الدين أبو عبد الله الذهبي : وفيها هدم الحاكم بيعة قمامة التي بالقدس، وهي عظيمة القدر عند النصارى، يحجون إليها، وبها من الستور والآلات والأواني الذهب شيء مفرط، وكانوا في العيد يظهرون الزينة، وينصبون الصلبان، وتعلق القوام القناديل في بيت المذبح، ويجعلون فيها دهن الزئبق، ويجعلون بين القنديلين خيطاً الحرير

---

[1]) المسالك والممالك ، أبو عبيد البكرى الجزء الأول صـ 171-172

[2]) تاريخ حكماء الإسلام ، ظهير الدين البيهقى صـ 96-97

متصلاً، وكانوا يطلونه بدهن البلسان، ويتقرب بعض الرهبان، فيعلق النار في خيط منها من موضع لا يراه أحد، فيتنقل بين القناديل، فيرقد الكل ويقولون: نزل النور من السماء فأوقدها، فيضجون، فلما وصفت هذه الحالة للحاكم، كتب إلى والي الرملة، وإلى أحمد بن يعقوب الداعي بأن يقصد بيت المقدس، ويأخذ القضاة والأشراف والرؤساء، وينزلون على هذه الكنيسة، ويبيحوا للعامة نهبها، ثم يخربونها إلى الأرض، وأحس النصارى، فأخرجوا ما فيها من جوهر وذهب وستور، وانتهب ما بقي، وهدمت[1].

ويذكر ابن الجوزى المتوفى سنة 654 هـ فى مرآة الزمان في تواريخ الأعيان :

سكنتُ في البيت المقدس عشرَ سنين، وكنتُ أدخلُ إلى القُمامة في يوم فصحهم وغيرِه، وبحثتُ عن إشعال القناديل في يوم الأحد [ويسمُّونه] عيد النور، و [ذلك لأنَّ] في وسط القُمامة قُبَّةً فيها قبرٌ يعتقد النصارى أنَّ المسيح - عليه السلام - لمَّا صُلِبَ دُفِنَ فيه، ثمَّ ارتفع إلى السماء، فإذا كانت ليلة السبت في السَّحر دخلوا إلى هذه القُبَّة فغسلوا قناديلها، ولهم فيها طاقاتٌ مدفونةٌ في الرُّخام، وفي الطاقات قناديل قد أُوقِدت من السَّحر، ولِلقُبَّة شبابيك، فإذا كان وقتُ الظُّهر اجتمع أهلُ دين النصرانية [من كلِّ فجٍّ عميق]، وجاء الأقِسَّاء فدخلوا القُبَّة، وطاف النصارى من وقت الظهر حولها يتوقَّعون نزول النور، فإذا قارب غروبَ الشمس تقول الأقِسَّاء: إن المسيح ساخطٌ عليكم. فيضجُّون ويبكون، ويرمون على القبر الذهب والفضة والثياب فتحصل [لهم] جملةٌ كبيرةٌ، ويُردِّد القِسِّيسُ هذا القولَ وهم يبكون ويضِجُّون ويرمون ما معهم، فإذا غربتِ الشمسُ أظلمَ المكانُ، فيُغافلهم بعضُ الأقِسَّاء، ويفتح طاقةً من زاوية القُبَّة بحيث لا يراه أحد، ويوقد شمعةً من بعض القناديل، ويصيح: قد نزل النور، ورضي المسيح. وتخرج الشمعةُ من بعض الشبابيك، فيضِجُّون ضجَّةً عظيمةً [ويقولون: نزل النور] ، ويوقدون الفوانيس، ويحملون هذه النارَ إلى عكا وصور وجميع بلد الفرنج، حتى رومِيَّة والجزائرِ، وقسطنطينيةَ وغيرِها؛ تعظيمًا لها.

حدثني جماعةٌ من المجاورين بالقدس، قالوا: لمَّا فتح صلاح الدين -رحمه الله- القدسَ وجاء يوم الفِصْحِ، جاء بنفسه فدخل القُبَّة [التي فيها القبر] وقال: أريد [أن] أشاهدَ نزولَ النور. فقال له البطرك: تُريد أن تضيِّع علينا وعليك أموالًا كبيرةً بقعودِكَ عندنا، فإنْ أردتَ المال فقُمْ عنَّا. فقام،

[1]) تاريخ الإسلام ، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز مجلد 27 صـ 238

فما بلغ بابَ القُبَّة حتى صاحوا [وقالوا] : نزل النور. فقال بعض الحاضرين: لقد زعمَ القِسِّيسُ أنَّ إلهَهُ ... يُنَزِّلُ نورًا بُكرةَ اليومِ أو غَدِ .. فإن كانَ نورًا فَهْو نورٌ ورحمةٌ ... وإنْ كانَ نارًا أحرقَتْ كلَّ مُعتدِ .. يُقَرِّبُها القِسِّيسُ من شَعْرِ ذَقْنِهِ ... فإنْ لَمْ تُحرِّقْها وإلَّا اقْطعوا يَدي[1].

وبذكر عِمَاد الدِّين الكاتب الأصبهاني المتوفى 597هـ عن كتيسة القيامة : قالوا وفيها صلب المسيح، وقرب الذبيح، وتجسد اللاهوت، وتأله الناسوت. واستقام التركيب، وقام الصليب. ونزل النور، وزل الديجور. وازدوجت الطبيعة بالاقنوم، وامتزج الموجود بالمعدوم[2].

وياقوت الحموى المتوفى سنة 626 هـ فى معجم البلدان يذكر : أعظم كنيسة للنصارى بالبيت المقدس، وصفها لا ينضبط حسنا وكثرة مال وتنميق عمارة، وهي في وسط البلد والسور يحيط بها، ولهم فيها مقبرة يسمونها القيامة لاعتقادهم أن المسيح قامت قيامته فيها، والصحيح أن اسمها قمامة لأنها كانت مزبلة أهل البلد وكان في ظاهر المدينة يقطع بها أيدي المفسدين ويصلب بها اللصوص، فلما صلب المسيح في هذا الموضع عظّموه كما ترى، وهذا مذكور في الإنجيل، وفيه صخرة يزعمون أنها انشقت وقام آدم من تحتها والصلبوت فوقها سوى، ولهم فيها بستان يوسف الصدّيق، عليه السلام، يزورونه، ولهم في موضع منها قنديل يزعمون أن النور ينزل من السماء في يوم معلوم فيشعله، وحدثني من لازمه وكان من أصحاب السلطان الذي لا يمكنهم منعه حتى ينظر كيف أمره وطال على القسّ الذي برسمه أمره قال: فقال لي إن لازمتنا شيئا آخر ذهب ناموسنا، قلت: كيف؟ قال: لأنّا نشبّه على أصحابنا بأشياء نعملها لا تخفى على مثلك وأشتهي أن تعفينا وتخرج، قلت: لا بدّ أن أرى ما تصنع، فإذا كتاب من النارنجيات وجدته مكتوبا فيه أنه يقرب منه شمعة فتتعلق به بغتة والناس لا يرونه ولا يشعرون به فيعظم عندهم ويطيعون[3].

والجويرى المتوفى سنة 663 هـ يذكر فى المختار فى كشف الأسرار : اعلم أن هؤلاء الأقوام لهم قنديل النور فى كنيسة قمامة من بيت المقدس وهو من عمل ببين الرهبان الملاعين قد ارتبط عليه جميع

---

[1]) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان ابن الجوزى الجزء 18 صـ 171-172

[2]) الفتح القسي في الفتح القدسي عِمَاد الدِّين الكاتب الأصبهاني صـ 67

[3]) معجم البلدان ، ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي الجزء الرابع صـ 3376-377

النصارى وأجناسهم وقد كان الملك المعظم بن الملك العادل قدس الله روحه دخل إلى القمامة يوم سبت النور فقال للراهب لا براح حتى أبصر هذا النور كيف ينزل فقال الراهب أيما أحب إليك هذا المال الذى يتحصل لك من هذا الوجه أو اطلاعك عليه فأنه إن كشفت سره عدمت هذا المال فأتركه مستور مصان وتربح هذا المال العظيم فلما سمع علم باطن قول الراهب فتركه على حاله وخرج ، وذلك أن هذا القنديل هو أعظم النواميس التى صنعوها الأوائل وذلك أن له فى رأس القبة حُقٌ من حديد والرزة الذى للسلسة الذى هو معلق فيها وهو مهندم فى هلال القبة لا يطلع عليه أحد إلا الراهب والسلسلة لها فيه خِلُوٍ فإذا كان ليلة سبت النور صعد الراهب إلى الحُقْ وجعل فيه مطبوخ الكبريت على مثال السنبوسكة وجعل تحتها نار موقتة إلى الساعة التى يريد أن ينزل فيها النور ثم يدهن السلسة بدهن البلسان فإذا جاء الوقت أوقدت النار يطف المطبوخ على رزة السلسلة فى ذلك الحُق المهندم فأستمد من تلك النطفة دهن البلسان وسرى مع السلسة نازل إلى القنديل فعلقت النار فى فتيلة القنديل وتكون مسقية أولاً بدهن البلسان[1].

ويروى القزوينى المتوفى سنة 682 هـ فى آثار البلاد وأخبار العباد : وبها قمامة، وهي كنيسة عظيمة للنصارى في وسط البلد، لا ينضبط صفتها حسناً وعمارة وتنميقاً وكثرة مال. في موضع منها قنديل يزعمون أن نوراً من السماء ينزل في يوم معلوم ويشعله، وهذا أمر مشهور عندهم. حكي أن بعض أصحاب السلطان ذهب إليها ذلك اليوم وقال: إني أريد أن أشاهد نزول هذا النور، فقال له القس: إن مثل هذه الأمور لا تخفى على أمثالك! لا تبطل ناموسنا فإنا نشبه على أصحابنا لتمشية أمرنا، فتجاوز عنه[2].

والمقريزى يذكر فى اتعاظ الحنفا : وفيها خرج النصارى من مصر إلى القدس لحضور الفصح بقمامة على عادتهم في كل سنة بتجمل عظيم كما يخرج المسلمون إلى الحج فسأل الحاكم ختكين الضيف العضدي أحد قواده عن ذلك لمعرفته بأمر قمامة فقال هذه بيعة تعظمها النصارى ويحج إليها من

---

[1]) المختار فى كشف الأسرار ، عبد الرحيم بن أبى بكر الدمشقى المعروف بالجويرى صـ 45-46

[2]) آثار البلاد وأخبار العباد ، زكرياء بن محمد بن محمود القزويني صـ 163

جميع البلاد وتأتيها الملوك وتحمل إليها الأموال العظيمة والثياب والستور والفرش والقناديل والصلبان المصوغة من الذهب والفضة والأواني من ذلك وبها من ذلك شيء عظيم.
فإذا كان يوم الفصح واجتمع النصارى بقمامة ونصبت الصلبان وعلقت القناديل في المذبح تحيلوا في إيصال النار إليه بدهن البيلسان مع دهن الزئبق فيحدث له ضياء ساطع يظن من يراه أنها نار نزلت من السماء.
فأنكر الحاكم ذلك وتقدم إلى بشر بن سورين كاتب الإنشاء فكتب إلى أحمد بن يعقوب الداعي أن يقصد القدس ويهدم قمامة وينهبها الناس حتى يعفى أثرها ففعل ذلك. ثم أمر بهدم ما في أعمال مملكته من البيع والكنائس فخوف أن تهدم النصارى ما في بلادها من مساجد المسلمين فأمسك عن ذلك[1].

ويذكر بن أبى القاسم الحنبلى الدمشقى المتوفى سنة 728 هـ: ويلي هذا الخميس يوم الجمعة، الذي جعلوه بإزاء يوم الجمعة التي صلب فيها المسيح على زعمهم الكاذب، يسمونها: جمعة الصلبوت، ويليه ليلة السبت التي يزعمون أن المسيح كان فيها في القبر، وأظنهم يسمونها: ليلة النور، وسبت النور، ويصطنعون مخرقة يروّجونها على عامتهم، لغلبة الضلال عليهم، يخيلون إليهم أن النور ينزل من السماء في كنيسة القمامة التي ببيت المقدس، حتى يحملوا ما يوقد من ذلك الضوء إلى بلادهم متبركين به، وقد علم كل ذي عقل أنه مصنوع مفتعل، ثم يوم السبت يتطلبون اليهود، ويوم الأحد يكون العيد الكبير عندهم، الذي يزعمون أن المسيح قام فيه[2].

يذكر أيضًا المقريزى فى كتابه "المواعظ والاعتبار في ذكر الخطب والآثار" - الجزء الرابع - تحت عنوان جامع آق سنقر : "وصارت المملكة كلها من أحوال الجيوش وأمور الأموال وغيرها متعلقة بالفخر إلى أن غضب عليه السلطان ونكبه وصادره على أربعمائة ألف درهم نقرة وولى وظيفة نظر الشيخ قطب الدين موسى بن شيخ السلامية ثم رضي عن الفخر وأمر بإعادة ما أخذ منه من المال إليه وهو أربعمائة ألف درهم نقرة فامتنع وقال: أنا خرجت عنها للسلطان فليبين بها جامعًا وبنى بها

[1]) اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء الجزء الثانى صـ74-75

[2]) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ابن أبى القاسم الحنبلى الجزء االثانى ص 552-553

الجامع الناصريّ المعروف الآن بالجامع الجديد خارج مدينة مصر بموردة الحلفاء وزار مرّة القدس وعبر كنيسة قمامة فسُمع وهو يقول عندما رأى الضوء بها: ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا[1].

وقد صار ذلك سنة ١٠٠٩م. عندما علم البطريرك بذلك أخفى كل كنوز الكنيسة قبل عملية الهدم. و لم يهدم الخليفة الحكيم كنيسة القيامة فقط بل كلّ كنائس أورشليم. بعد موته استطاع أمبراطور الروم رومانوس أرغيروس الثالث أن يتفاوض مع ابن الحكيم، الخليفة علي الزهير. وقد ابتدأ عمل الترميم والبناء سنة ١٠٣٨م ودام ١١سنة وانتهى سنة ١٠٤٨م، في زمن الأمبراطور قسطنطين التاسع مونوماخوس. وهنا السؤال، هل توقف انبعاث النور من القبر في فترة دمار الكنيسة؟ كلاّ! يخبرنا الراهب الفرنسي ريشارد المغبوط سنة ١٠٢٧م أنه "في تلك السنة، وبينما كانت الكنيسة خراباً، تجمع المسيحيون فوق الركام وقد استطاعوا تجميع حجارة ليبنوا كنيسة القبر الصغيرة بدون سقف وحولهم المسلمين يرشقونهم بالحجارة وقد تجمع حولهم أيضاً جيش أورشليم المسلم حتى إذا لم تحصل عجيبة النور عندهم أمر بذبح كلّ المسيحيين! ولكن من خلال الركام، برز النور في كل مكان (السماء والقبر) وأشعل القناديل (كما العادة لرتبة النور)، حتى أن أصاب المسلمين هرعٌ وخوفٌ ولم يلمسوا شعرة من رؤوس المسيحيين."[2].
شخص آخر يخبرنا عن هذه الفترة هو أودولريخ Odolric أسقف أورليان Orléans، فرنسي وقد زار أورشليم بين ١٠٢٥م ١٠٢٨م. يطلعنا هذا الأسقف أن النور كان ينبعث من القبر وهو مدمر[3] (بعد أن هدمه أحد خلفاء الفاطميين).

وفى كتاب صالح بن الحسين الجعفرى المتوفى سنة 688 هـ : للنصارى عيد بيت المقدس مشهور يعرف بعيد النور، يحجون إليه في يوم من السنة. وإذا اجتمعوا عنده نزلت نار من تجويف القبة فتعلقت بذبالة القنديل فيتقد بسرعة فتكثر الأصوات وتعج بالدعاء والابتهال، فلا يشك الغر ولا يرتاب الغمر أن تلك آية نزلت من السماء دالة على صحة دينهم. ووجه الحيلة في ذلك أن رجلاً يختبئ

---

[1]) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار للمقريزى الجزء الرابع صـ 114

[2]) مخطوط MS Phillips 1870, fols 87r, 87v (Berlin)

[3]) مخطوط Codex Paris lat. 10912, 11th c

في أفرير القبة من داخل وهي غلسة جداً. فإذا كان ذلك الوقت الذي يُكمل فيه اجتماعهم وقُرأ الإنجيل والكتب؛ أرسل الرجل قبسا من نار النفط فجرت على خيط مدهون بدهن البلسان فتبتدر الذبالة فيتقد. فيجأرون حينئذٍ بالأدعية[1].

ويذكر أبو عبيدة الخزرجي المتوفى سنة 582 هجرية فى باب نزول النور فى بيت المقدس: وينزل الله علينا من السماء نور فى كل سنة فى بيت المقدس[2].

ويذكر الصفدى المتوفى سنة 764 هـ فى الوافى بالوفيات : هذا من قول بعض الشعراء في النار التي يزعم النصارى أنها تنزل يوم سبت النور من السماء إلى القمامة بالقدس) .. لقد زعم القسيس أن إلهه .. ينزل نورا بكرة اليوم أو غد .. فإن كان نورا فهو نور ورحمة .. وإن كان نارا أحرقت كل معتد .. يقربها القسيس من شعر ذقنه .. فإن لم تحرقها وإلا اقطعوا يدي[3].

وفى كتب الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل لـ عبد الرحمن الحنبلى المتوفى سنة 928 هـ :
مِمَّا وَقع بِبَيْت الْمُقَدّس من الْحَوَادِث وَالْأَخْبَار فِي ذَلِك الزَّمَان فَمن ذَلِك مَا وَقع فِي شهور سنة ثَمَان وَتِسْعين وثلاثمائة إن الْحَاكِم بِأَمْر الله أَبُو عَليّ الْمَنْصُور بن الْعَزِيز الفاطمي خَليفَة مصر أَمر بتخريب كَنِيسَة القمامة من بَيت الْمُقَدّس وأباح للعامة مَا كَانَ بهَا من الْأَمْوَال وامتعة وَغير ذَلِك وَكَانَ ذَلِك بِسَبَب مَا انهي إِلَيْهِ من الْفِعْل الَّذِي تتعاطاه النَّصَارَى يَوْم الفصح من النَّار الَّتِي يحتالون بهَا بِحَيْثُ يتَوَهَّم الاغمار من جهلتهم إِنَّهَا تنزل من السَّمَاء وَإِنَّهَا مصبوغة بدهن البيلسان فِي خيوط الابريسم الرفاع المدهونة بالكبريت وَغَيره بالصنعة اللطيفة الَّتِي تروج عل الْعِظَام مِنْهُم والعوام وهم إِلَى الْآن يستعملونها فِي القمامة وَيُسمى ذَلِك الْيَوْم عِنْدهم سبت النُّور وَيَقَع فِيهِ من الْمُنكر بِحُضُور الْمُسلمين مَا لَا يحل سَمَاعه وَلَا رُؤْيَته من جهرهم بالْكفْر وَرفع أَصْوَاتهم يَقُولُونَ يَا لدين الصَّلِيب وَإِظْهَار كتبهمْ وَرفع الصلبان على رُؤْسهمْ غير ذَلِك من الْأُمُور الَّتِي تقشعر مِنْهَا الأجساد ثمَّ

[1]) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، المؤلف: صالح بن الحسين الجعفري الجزء الثانى صـ 527

[2]) مقامع هامات الصلبان ومراتع رياض الإيمان ، أبو عبيدة الخزرجي ص 75-76

[3]) الوافي بالوفيات ، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي جـ 7 صـ 13

لما توفّي الْحَاكِم بِأَمْر الله فِي شَوَّال سنة إِحْدَى عشرَة وَأَرْبَعمِائَة ولي بعده الظَّاهِر لَا عزاز دين الله أَبُو الْحسن عَليّ وَاسْتمرّ إِلَى أَن توفّي فِي شعْبَان سنة سبع وَعشْرين وَأَرْبَعمِائَة ثمَّ تولى بعده الْمُسْتَنْصر بِاللَّه أَبُو تَمِيم معد فهادن ملك الرّوم على أَن يُطلق خَمْسَة آلف أَسِير ليمكن من عمَارَة قمامة الَّتِي كَانَ خربها جده الْحَاكِم فِي أَيَّام خِلَافَته فَأطلق الأسرى وَأخرج ملك الرّوم عَلَيْهَا أَمْوَالًا عَظِيمَة (قلت) وَالَّذِي يظْهر أَن تخريبها لم يكن تخريباً كلياً بل كَانَ فِي غالبها وَالله أعلم[1].

لدينا شهادة عن انبثاق النور في القدس على يدَي البابا بطرس الجاولي البطريرك التاسع بعد المائة في عداد بطاركة الكرسي الإسكندري (1809 – 1852)م: عندما قام "أفندينا" إبراهيم باشا ابن محمد علي باشا بفتح بلاد الشام (فلسطين وسوريا ولبنان حالياً)، واستولى على مدينة القدس، بَلَغَه أنَّ النور يظهر في ليلة عيد القيامة على يد بطريرك الروم الأرثوذكس في القدس. فلم يُصدِّق إبراهيم باشا هذا الكلام. ودعا بشدَّة البابا بطرس الجاولي إلى الحضور للقدس لإقامة احتفال عيد القيامة، ويُباشر بنفسه خدمة خروج النور من القبر المقدَّس الذي دُفِنَ فيه الرب يسوع المسيح، كما كان يفعل بطاركة الروم هناك كل سنة. وهكذا، لبَّى البابا بطرس دعوة إبراهيم باشا والي الشام، وسافر إلى مدينة القدس، وهناك تقابَل مع "أفندينا"، وأَطْلَعَه على حقيقة الأَمر. ومِن حيث إنه سيترتَّب على تعدِّي البطريرك القبطي على حقوق بطريرك الروم في القدس، عداوة كبيرة بين الكنيستَيْن القبطية والرومية في المدينة المقدَّسة؛ قابَل البابا بطرس "إبراهيم باشا" واعتذر له. فقَبِلَ الباشا اعتذار البابا، ولكنه اقترح عليه أن يكون مُصاحِباً لبطريرك الروم في الصلاة. وكان إبراهيم باشا يرتاب في حقيقة الأَمر، أي ظهور النور في القبر المقدَّس وخروجه منه في يوم سبت النور. وتقول سيرة البابا بطرس إنه كان خائفاً من عاقبة تأخير انبثاق النور، وما سيترتب على ذلك من سوء العاقبة بعد ذلك! فأخذ البابا يستغيث، في صلواته الحارَّة، بقدرة الرب يسوع المسيح. وكانت كنيسة القيامة في ذاك الوقت قد غصَّت بالجماهير التي أتت من كل مكان، حتى تضايق الناس من شدَّة الازدحام. وهكذا أَمَر الباشا بإخراج الفقراء إلى خارج الكنيسة، ليقفوا في الفضاء الكبير خارج الكنيسة، ودخل الباشا مع بطريرك الروم وبابا الإسكندرية إلى القبر المقدَّس. وابتدأ البطريركان بالصلاة، ولما حلَّ الوقت المعهود، انبثق النور من القبر المقدَّس بصورة رهيبة، بشكل

[1]) الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن العليمي الحنبلي صـ 303

أرعب الباشا (الذي كان واقفاً خلف عمود رخامي)، حتى استولى عليه الذهول والاندهاش، وأَخَذَ يصرخ مُردِّداً هذه الكلمات: "أمان بابا" "أمان بابا". وكاد أن يسقط على الأرض، لدرجة أن تلقَّاه البابا بطرس في حضنه إلى أن أفاق من تأثير جلال المنظر ورَهبته. أمَّا الفقراء الذين وقفوا خارج كنيسة القيامة، فكانوا أسعد حظّاً مِمَّن كانوا بداخلها، لدرجة أنَّ أحد أعمدة باب الكنيسة الغربي انشقَّ وخرج لهم من الشقِّ النور المنبثق من داخل الكنيسة، فتباركوا منه. كما ظهرت آثار نفس قوة النور المقدَّس على أحد الأعمدة الرخامية داخل الكنيسة نفسها، إذ انشقَّ من أعلى إلى أسفل، وظهر فيه آثار الحريق. وبعد انتهاء الاحتفال بعيد القيامة، عاد البابا بطرس مُكرَّماً إلى مقرِّ كرسيه[1].

سنة ١٠٠٩م، وكان الخليفة الفاطمي الحكيم حاكماً في مصر، أمر هذا الخليفة أن تهدم كنيسة القيامة في أورشليم. لماذا؟ لأنه عرف أن مسيحيين كثر من بلاد مصر وسورية وفلسطين يحجون كل سنة إلى كنيسة القبر ليعاينوا ويتباركوا من النور المقدس، وقد تزايد عددهم، فخاف أن يمتدّ هذا التزايد ويطال مسلمين، لذلك أمر بهدمها[2]. وقد صار ذلك سنة ١٠٠٩م. عندما علم البطريرك بذلك أخفى كل كنوز الكنيسة قبل عملية الهدم. و لم يهدم الخليفة الحكيم كنيسة القيامة فقط بل كلّ كنائس أورشليم. بعد موته استطاع أمبراطور الروم رومانوس أرغيروس الثالث أن يتفاوض مع ابن الحكيم، الخليفة علي الزهير. وقد ابتدأ عمل الترميم والبناء سنة ١٠٣٨م ودام ١١سنة وانتهى سنة ١٠٤٨م، في زمن الأمبراطور قسطنطين التاسع مونوماخوس. وهنا السؤال، هل توقف انبعاث النور من القبر في فترة دمار الكنيسة؟ كلاّ! يخبرنا الراهب الفرنسي ريشارد المغبوط سنة ١٠٢٧م أنه "في تلك السنة، وبينما كانت الكنيسة خراباً، تجمع المسيحيون فوق الركام وقد استطاعوا تجميع حجارة ليبنوا كنيسة القبر الصغيرة بدون سقف وحولهم المسلمين يرشقونهم بالحجارة وقد تجمع حولهم أيضاً جيش أورشليم المسلم حتى إذا لم تحصل عجيبة النور عندهم أمر بذبح كلّ المسيحيين! ولكن من خلال الركام، برز النور في كل مكان (السماء والقبر) وأشعل

---

[1]) كتاب: 15 تاريخ، ص 211 "أ"- 312؛ وسنكسار دير الأنبا أنطونيوس، رقم 343 طقس؛ عن كتاب: "سلسلة تاريخ البابوات بطاركة الكرسي الإسكندري"، تأليف: كامل صالح نخلة، الحلقة الخامسة، ص 140،141.

[2]) p. 82, c. ref. Ibn Al-Qalanisi, History of Damscus, ed. H.F. Amedroz, Beirut 1908

القناديل (كما العادة لرتبة النور)، حتى أن أصاب المسلمين هرعٌ وخوفٌ ولم يلمسوا شعرة من رؤوس المسيحيين"[1].

شخص آخر يخبرنا عن هذه الفترة هو أودولريخ Odolric أسقف أورليان Orléans، فرنسي وقد زار أورشليم بين ١٠٢٥م ١٠٢٨م. يطلعنا هذا الأسقف أن النور كان ينبعث من القبر وهو مدمّر[2].

يذكر بدر الدين العينى المتوفى فى 855 هـ فى عقد الجمان : ومنها: أن القمامة التى بالقدس الشريف كان فى وسطها قنديل كبير، صنعته أكابر النصارى، وفى كل سنة يوم معلوم عندهم يجتمع إليه النصارى من سائر الأجناس، ولا يوقد ذلك القنديل فى كل السنة إلا فى ذلك اليوم، ولا يظهر نوره إلا فى الرابعة من ذلك اليوم، ومتى أبطأ فى ذلك الوقت يقولون: إن نيل مصر فى هذه السنة شحيح، وكانت عادة السلطان يبعث إليها قرب هذا اليوم من يثق بأمانته. فيحصّل شيئا كثيرا من الذهب والفضة وسائر التحف، ثم يحضره إلى السلطان، وينقل من زيت ذلك القنديل إلى سائر نصارى البلاد من الملوك وغيرهم على سهيل التبرك عندهم، وكان هذا القنديل يشتعل من ذاته، وهو أمر عظيم عندهم، فهو الذى يكون سببا لضلال النصارى وثباتهم على دينهم الباطل، واتفق أن نجم الدين بن الحباب سافر إليه فى الدولة المنصورية حتى يتحقق أمر هذا القنديل، فلما حضر فحص عن ذلك واجتهد فيه إلى أن انكشف له أنه مصنوع من أدوية بحكمة مذكورة عندهم، وأن الشمس فى الرابعة من النهار يقوى جرمها فيقع شعاعها من طاقة قريبة من القنديل المذكور، فإذا وقع يطلقون موضع وقوع جرم الشمس شيئا من القلفونية المصنوعة بالحكمة فتصل قوتها إلى فتيلة ذلك القنديل فيشتعل، فلما ظهر له ذلك كتب إلى الوزير والسلطان فى ذلك فتهاونوا فى أمره، فأمر الأمير بيبرس بمنعه وتبطيله، فأنكروا عليه من حيث أنه يحصل من ذلك كل سنة جملة من المال لبيت المال، ولم يزل يسعى فيه إلى أن كتب السلطان بإبطال ذلك القنديل، وكان آخر ذلك فى صحيفته[3].

---

[1]) ref .c ,91 .p. مخطوط(Berlin) MS Phillips 1870, fols 87r, 87v

[2]) ref .c ,92 .p. مخطوط Codex Paris lat. 10912, 11th c

[3]) عِقْد الجُمَان في تاريخ أهل الزمان - بدر الدين محمود العيني جـ 4 صـ 268-269

شهادة أحد الحجاج الروس

كتب أحد الحجاج الروس في القرن السابع عشر: "ومع اقتراب فصح المسيح، في جمعة الأسبوع المقدس، قرب صلاة الغروب، بأمر من الباشا، فتح الأتراك الكنيسة الكبرى". قدس الأقداس وقيامة المسيح. والمطران ورئيس الأساقفة والشيوخ وكل طبقات المؤمنين بالمسيح، من حجاج وسكان محليين، يونانيين وعرب، دخلوا الكنيسة وأخذوا يصلون صلاة الغروب[...] وأقترب الوقت، وصعد المطران إلى الكنيسة التي يوجد فيها قبر الرب. وكانت الكنيسة في ذلك الوقت مختومة وأطفأت الأنوار. وقام الأتراك بتفتيش المتروبوليت بدقة للتأكد من أنه ليس لديه صوان ولا شعلة ولا مواد حارقة ولا كبريت. وتلك الكنيسة التي فتحوها له. والمتروبوليت عند أبواب الكنيسة ويرى أيقونة السيدة العذراء ويوحنا المعمدان يتضرعان إلى المسيح مباشرة إلى الشرق، وإلى الأعلى نحو السماء ينظر، حيث القبة المكسورة، يرفع التسبيح إلى الله مع الدموع؛ وصلوا [هكذا] لمدة ساعتين. وعندما دقت الساعة الحادية عشرة، فوق قبة تلك الكنيسة العظيمة، دوى الرعد من السماء ثلاث مرات؛ وبدأ اليونانيون والعرب يصرخون بصوت عظيم: "أجيوس، أجيوس، أجيوس"، وهو في لغتنا "قدوس، قدوس، قدوس، رب الصباوث"، وبدأوا يعبرون أنفسهم. بعد هذا الرعد، جاءت ثلاث حمامات رمادية مزرقة [الأعلى]؛ وجلست هذه الحمامات الثلاث على تلك القبة المكسورة: جلست واحدة من المشرق، وجلست الثانية من الجنوب [مضاء: الظهر] والثالثة من الغرب. ورسم المتروبوليت علامة الصليب وصعد إلى تلك الكنيسة وبقي هناك لفترة طويلة. وكان الرجل العجوز الموقر يقف خارج تلك الكنيسة عند الأبواب وكثيرًا ما ينظر إلى تلك الكنيسة - الآن يفتح، وتارة يغلق. ثم فوق قبر الرب أُشعل المصباح أولاً من نار سماوية؛ وبعد قليل خرج المتروبوليت من ذلك المصلى وأخرج مجموعتين من الشموع المضاءة بكلتا يديه ووقف في المرتفعة حيث أعد له مكان، وأضاء جميع المسيحيين شموعهم من المتروبوليت، والأتراك بعد ذلك أشعلوا الشموع؛ وتلك النار السماوية... ليست كالنار الأرضية[1].

"نعم، حتى أنا، العبد الخاطئ جدًا، من يدي المتروبوليت، أشعلت عشرين شمعة [مربوطة] ببعضها البعض ووضعتها جميعًا [معًا] تحت لحيتي، ولكن لم تتجعد شعرة واحدة أو تحترق؛ وأطفأت كل تلك الشموع حينها؛ أشعلت تلك الشموع [نفسها] من الآخرين؛ وبالمثل مرة ثالثة، أشعلت تلك

Orthodox Palestinian Collection [of Stories]. Saint Petersburg, 1891. Issue 33. Pp. 33-34 ([1]

الشموع [بنفسي]، ولم يتم لمس أي شيء: لم تحترق شعرة واحدة، ولم تتجعد؛ وأنا الشقي لم أؤمن أن النار سماوية وآية إلهية من الله، فأشعلت شموعي وأطفأتها ثلاث مرات. ثم استغفرت أمام المطران وأمام جميع اليونانيين، لأنني أسيء إلى قوة الله، وأنني قلت إن اليونانيين يحققون هذه النار السماوية بالسحر وليس من الله. خلق؛ وقد سامحني المطران على كل هذه الأمور وباركني[1].

قال: «ولما دخلت داخل القبر المقدس، رأيت على كامل غطاء القبر نورًا متلألئًا، يشبه اللؤلؤ الصغير المنثور، مظهره أبيض، أزرق فاتح». والقرمزي والألوان الأخرى التي تتحد معًا وتحمر وتتحول مع مرور الوقت إلى مادة النار؛ لكن هذه النار، خلال الوقت الذي يستغرقه قول "يا رب ارحم" على مهل أربعين مرة، لا تحترق، ومن هذه النار تضاء المصابيح والشموع المعدة [سابقًا]. وأضاف: "لكن كيف ومن أين تحدث هذه الظاهرة، لا أستطيع أن أقول".

"من الواضح أنني وجدت نفسي في الساحة أمام الكنيسة، حيث تجمهر حولي عدد من حجاجنا. لقد أظهروا لي جميعًا، بدموع مليئة بالندم والفرح، أن النار المقدسة لا تحترق. وكان العديد منهم في حضوري يرفعون الشعلة إلى أعناقهم وأيديهم وصدورهم المكشوفة؛ وهو حقا لا يحترق. يبدأ في الاحتراق فقط عندما تشتعل مجموعة الشموع بلهب ساطع. واقتداءً بمثال الحجاج الذين أعرفهم وتوجيهاتهم، فقد اختبرت كل هذا شخصيًا. لقد طوقت بهذه النار المقدسة رقبتي ويدي وذراعي، ولم أشعر بأي ألم على الإطلاق[2].

---

[1] Orthodox Palestinian Collection [of Stories]. Saint Petersburg, 1891. Issue 33. P. 37 (

[2] Konstantin Rostovtsev, member of the Imperial Palestinian Society (1896).—from "Orthodox Life". 1962. No. 4 (

تقرير الراهب الأوروبي، الأب برنارد (حوالي 865 أو 870)

نزول النار المقدسة: "في يوم السبت العظيم، في اليوم السابق للفصح [عيد الفصح]، في خدمة الكنيسة الصباحية في كنيسة قبر الرب، بعد ترتيل "كيري إليسون" (يا رب ارحم)، ينزل ملاك ويضيء المصابيح المعلقة فوق قبر الرب. ويمرر البطريرك هذه النار إلى الأسقف وأخيراً إلى الشعب كله، حتى يتمكن كل إنسان من إشعال هذه النار في بيته. والبطريرك الحالي اسمه ثيودوسيوس [863-879]؛ وإنما دُعي إلى هذا المنصب بسبب تقواه»[1].

نيكيتا Nikita الإكليريكي الذي زار أورشليم عام 947 كتب: "لم يكن رئيس الأساقفة قد خرج من القبر بعد، حتى يمكن للمرء أن يرى فجأة كنيسة الله بأكملها مليئة بالنور الإلهي الذي لا يقاوم، لذلك تحرك الشعب الأتقياء الآن. إلى الجانب الأيمن، والآن إلى اليسار... في وجود مثل هذا الظهور غير المتوقع للنور، امتلأ الجميع بالدهشة، حتى أن الهاجريين Hagarenes الملحدين أصيبوا بالصدمة والعار... الآن، خلال الوقت الحاضر، الإلهي وقد امتد فيض النور وملأ الكنيسة كلها.[2]"

في عام 947، أرسل أحد رجال الدين في البلاط الإمبراطوري لقسطنطين السابع بورفيريجنيتوس Porphyrigenitu[o]s، يُدعى نيكيتاس، رسالة إلى الإمبراطور يروي فيها محاولة أمير غاضب وضع حد لطقوس النار المقدسة. توفر هذه الرسالة بيانات غنية عن الحريق. وكان الأمير قد طالب بالإنهاء التام لجميع الاحتفالات المستقبلية في يوم السبت العظيم، "لأنك، كما نقل نيكيتاس طلب الأمير إلى بطريرك القدس، "من خلال القيام بمعجزتك الشهيرة بحيل سحرية، ملأت سوريا كلها بالدين المسيحى. لقد دمرتم جميع تقاليدنا تقريبًا، وجعلتم منها "رومانيا"[3].

بعد إحباط محاولته الأولى لوقف الاحتفال من خلال الرد الذكي من أنصار البطريرك - بأن وقف الاحتفال بعيد الفصح في القدس من شأنه أن يعرض الإيرادات الضخمة التي جمعتها السلطات الإسلامية للخطر - ابتكر الأمير مخططًا آخر لإنهاء الطقوس. يواصل نيكيتاس تقريره إلى الإمبراطور:

---

[1] Dimitrievsky A.A. The Holy Fire at the Lord's Tomb on Great Saturday. Saint Petersburg, 1908. p. vi (

[2] Papadopulo-Kerameus, A.I. The Story of Nikita the Royal Cleric: Epistle to Emperor Constantine VII the Porphirogeniture about the Holy Fire. St Petersburg, 1894. pp.10-11 (

[3] The Holy City in the Eyes of Chroniclers, Visitors, Pilgrims, and Prophets from the Days of Abraham to the Beginning of Modern Times (Princeton, 1985), F.E. Peters P 261 (

[الأمير] ... طالب البطريرك، تحت التهديد بمنع العيد الشعبي لقيامة المسيح، بدفع 7000 قطعة ذهبية. ولم يكن هذا الدفع ليتم إلا بدفع فوري من قبل أمناء السر لـ2000 قطعة ذهبية مع ضمان الـ5000 المتبقية. وبينما كان البطريرك محبوساً في دار الولاية، ملأ إله المعجزات اثنين من مصابيح المصباح الثلاثي المعلق في المكان الذي قيل إن جسد المسيح أنزل فيه عن الصليب ليُغتسل. وعندما وصل خبر الأعجوبة إلى قاعة المحكمة، هرع المسيحيون والمسلمون إلى الكنيسة. ولكن المسلمين جاءوا مملوئين بالأفكار الدموية والمخططات القاتلة، مسلحين ومستعدين لقتل كل مسيحي يحمل سراجاً مضاءً. وصل البطريرك يتبعه رجال الدين، وبعد أن قرر أن إضاءة النار المقدسة لم تتم بعد، قام بمساعدة المسلمين بإغلاق القبر المقدس وبدأ بالصلاة مع المسيحيين. ونحو الساعة السادسة، ثبت نظره على القبر المقدس، فرأى ظهور النور الخارق للطبيعة. ودخل إلى القبر المقدس الذي أراه الملاك دخوله. وفي اللحظة التي أخذ فيها مستدقًا ليعطي النار الإلهية لجميع الذين في الكنيسة معهم مشاعل، لم يكد يخرج من القبر، حتى رأى الكنيسة فجأة ممتلئة بالنور الإلهي. وكان المؤمنون واقفين عن اليمين واليسار، بعضهم عند الباب، وبعضهم عند الجلجثة، والبعض الآخر بالقرب من السلسلة الصليبية المعلقة في السقف والتي علقوا حولها مصابيحهم، السلسلة، أي التي تمثل الصليب. مركز العالم والذي هو هناك كعلامة، لكي يندهش الجميع من ظهور النار الإلهية. وشعر المسلمون أنفسهم بالدهشة لأنه حتى ذلك الوقت كان ظهور النور سنوياً لا يحدث إلا عند أحد المصابيح الموجودة داخل كنيسة القيامة، بينما في هذا اليوم كانت الكنيسة بأكملها تمتلئ بالنور. وشهد الأمير الذي كان ينظر من فوق إلى إحدى المنابر معجزة أعظم. أكبر المصابيح المعلقة أمامه أفلتت من الزيت والماء الذي كانت تحتويه، وامتلأت فجأة بنار إلهية على الرغم من أنها لم تكن تحتوي على فتيل على الإطلاق[1].

من القبر المختوم بواسطة المسلمين، يبدو أن النار المقدسة ظهرت عند الظهر، بحسب هذا المصدر، بعد أن امتلأت الكنيسة بالنور الإلهي تحسبا لتوزيع البطريرك للنار من داخل القبر. ونعلم أن "ظهور هذا النور سنويًا كان يتم عند مصباح واحد فقط داخل كنيسة القيامة"، كما ورد في مصادر أخرى. وأخيرًا، يؤكد نيكيتاس أن النور الذي ظهر في جميع أنحاء الكنيسة أظهر نفس

[1] Ibid., p. 262

الخصائص الإعجازية المنسوبة إلى النور الموجود داخل القبر، ويحافظ على نفسه أمام الأمير، دون الاستفادة من الزيت أو الفتائل.

إن احتفال النور المقدس ونقله من قبل البطريرك "إلى الأساقفة وبقية الشعب، حتى ينير كل واحد منزله به" قد ذكره أيضًا الراهب برنارد الحكيم الذي زار المدينة المقدسة في عام 870م[1] .
رسالة نيكيتاس، رجل الدين الملكي في كنيسة القسطنطينية، بشأن ظهور النور من القبر المقدس أثناء سبت النور. زار القدس سنة 947م، للتعبد في الأماكن المقدسة، عندما كان كريستودولوس الأول (937-950) بطريرك القدس، وأحضر له هدايا من الإمبراطور قسطنطين السابع بورفيروجنيتوس، كما كتب هو نفسه في رسالته إلى الإمبراطور نفسه. وهذه الرسالة هي كما يلي:

"لذا، أيها الملك الإلهي، لم تكن حياتنا لتكون بلا أهمية بسبب عظمة الله، ولكن لكي يتمجد إلهنا الحقيقي الوحيد والسيادي من خلال تواضعك تجاه المسيح في المعجزات البارزة[2] وفي مظاهر النور، كما لو كان الأمر لا يتعلق فقط بالمعجزات الرائعة القديمة، ولكن أيضًا يفرح ويمتد من خلال الاحتفالات التي يتم إجراؤها أثناء حكمك في المسيح؛ لأن جميع المواطنين والوافدين الجدد يعرفون الحقائق المتعلقة بقدوم النور في يوم القيامة أثناء الدفن المقدس للرب، ومن المفارقات بما فيه الكفاية - أشير إلى تألق المنير - أنه يتم ذلك بإلهام إلهي؛ لأنه في الماضي كنت أتوق برغبة كبيرة لمراقبته (المنير) وعبادة تلك الأرض المقدسة والموقر، لكن مملكتك التي تتقي الله، والتي تقدم أيضًا هدية من الذهب، لم تمنحني هذا الطلب، بل أرسلته مسبقًا إلى ثيوفيلوس، رئيس الأساقفة الذي هو هناك؛ لذلك، فإن الله، الذي يعرف إخلاصك الكامل له، قد حماك من كل أذى الأجاريين غير المقدسين.

---

[1]) حفظت هذه الرسالة في مخطوطة دير القديس سابا Λαύρας του αγίου Σάββα، ونشرتها لأول مرة سنة 1807 الأرشمندريت خريسانثوس القبرصي في بروسكينيتاريوم في مدينة القدس وكل فلسطين، والتي جمعها بنفسه (ص 47-50).

[2]) Βενιαμίν Ιωαννίδης, Προσκυνητάριο της αγίας Γης, σελ. 240-41. ويكتب أيضًا المؤرخون اللاتينيون في عصر الحروب الصليبية، وشهود العيان، وفولشيريوس، والمجهول، عن احتفال النور المقدس. راجع Αρχιμανδρίτη Καλλίστου, Οι Άγιοι Τόποι..., σελ. 322-325

وفي السابع من إبريل، وبفضل العناية الإلهية، وبعد أن التقيت برئيس أساقفة المدينة المقدسة، كريستودولوس، بقيت معه ورأيت الظهور الإلهي ليوم القيامة؛ ومع اقتراب السبت العظيم المقدس، لم يتركنا الشيطان، الذي يحسد الصالحين دائمًا، هادئين، بل توج بذلك، وضرب المسيح على حجر الزاوية، لكنه هو نفسه سُحق أكثر من السحق. "فإن رجلاً يدعى أميراس من بغداد، في الساعة الأولى من السبت العظيم المقدس، بينما كان هناك، دخل إلى مقر أميراس في دار الولاية، ممتلئاً غضباً وغيظاً؛ ثم على الفور، أعلن بعض الرسل الرهيبين والقاسيين عن وصوله إلى رئيس الأساقفة كريستودولوس وتوجهوا نحو دار الولاية؛ ولكن عندما وصل ثيوفيلس رئيس الأساقفة الثمين حقًا إلى هناك، قال أميرايان الرهيب والمذهول:

› لا يمكنك، يا رئيس الأساقفة، أن تحتفل بالعيد الآن، ولهذا السبب جئت إلى هنا، لأنك بخدع سحرية وخادعة تقوم بالمعجزة التي يُقال عنها الكثير وقد ملأت كل سوريا بدين المسيحيين؛ وقد قضيتم تقريبًا على رومانيا من خلال القضاء على عاداتنا.

فأجابه رئيس الأساقفة المتدين آنذاك بصوت هادئ:

› إذا حاولت مرة واحدة، أو حتى مرتين، فلن تصبح جديرًا بالثقة من خلال هذه الأعمال مرات لا تحصى؛ قد يبدو أكثر احتمالا بالنسبة لنا أن نقول إن هذا يتم إنجازه من خلال بعض الخدع السحرية والخادعة.

ولأنه ألقى الحديد أمام رئيس الأساقفة بدلاً من الفتيل في المصباح الذي كان في القبر المقدس، ولأننا رأيناه يضيء بالكامل مثل شمعة بموافقة إلهية، فإلى أي مدى نحاول أن نعجب بالطغيان غير المسموع؟ الكتبة الواقفون هناك - وهذا هو الاسم الذي يطلق على أولئك الذين يقدمون الخدمات لأرض أميرا ويشاركوننا في إيماننا الثابت - قالوا للقاتل أمير:

› لا يحسن بك أن تمنع رئيس الأساقفة من الاحتفال بالعيد الذي جرى الاحتفال به حسب العادة في هذا المكان؛ فكيف يتم جمع الجزء الأكبر من الضرائب العامة إذا لم يكن مسموحًا بالاحتفال بالأعياد الرسمية هنا؟ وبما أنك إذا التزمت بهذا المنطق، يمكننا أن نشير إلى المستشار الأول لسوريا، فلن تسبب لنفسك أي سخط غير مقصود.

ولأنه غضب من هذا الكلام، استهدف الرجل التعيس خدعة جديدة أخرى، مملوءًا بالغضب والغيظ، فأخذ 7000 قطعة ذهبية بالقوة من رئيس الأساقفة؛ ويقول إنه إذا لم يحصل على المال، فلن يسمح لرئيس الأساقفة بالاحتفال بالعيد المقدس والشامل لقيامة المسيح بأي شكل من الأشكال؛ ثم تنهد رئيس الأساقفة حزناً شديداً وابتز القتلة بأنه سيحرر نفسه من هذه الحياة الحاضرة بالسيف، لأنه اعتبر أن ذلك من مصلحته، أي أنه سيتحرر من شرهم؛ لكن الله الذي يدبّر الأمور للمحتاجين ويعطي القوة للمرضى، أزال هذا الفكر؛ فبعد أن أعطوا ألفي (2000) قطعة ذهبية، ضمن الكتبة - الذين ذكرناهم آنفاً - لرئيس الأساقفة أن يعطي الخمسة آلاف (5000) وبالتالي أحبطوا خطة أميريوس الفاجر.

"وبينما كان رئيس الأساقفة يُضغط عليه بهذه الأمور في دار الولاية، ملأ إله الأعمال العجيبة، بقوته غير المفهومة التي لا تُقاوم، اثنين من المصابيح بنور إلهي ثلاثي الأضواء، في ذلك المكان الذي حدث فيه الصلب، حيث يُقال إنه بعد أن أنزلوا جسد ربنا وإلهنا الأمين من الصليب، غسلوه. "ولذلك، بمجرد أن أُعلن هذا الأمر الغريب في دار الولاية، اختلطت على الفور جموع المسيحيين والأجاريين غير المؤمنين، وتدفقوا إلى كنيسة الله المقدسة، الأرثوذكس بسبب رغبتهم الشديدة وإيمانهم الناري، والأجاريين الملحدين ذوي التصرف القاتل والعقل المدمر، بعضهم يحمل سيوفًا والبعض الآخر رماحًا، بحيث إذا تم اكتشاف أن أيًا من المسيحيين لديه ضوء مصباح، يُقتل في الهيكل؛ ولكن رئيس الأساقفة الحكيم، برفقة رجال الدين الآخرين والأجاريين، ذهبوا بسرعة إلى القبر المقدس للرب، وعلاوة على ذلك، وبعد أن ألقى نظرات صغيرة من هنا وهناك، لأنه كان يعلم أنه لم يسبق قط أن خرج إشعاع النور الإلهي إلى هناك، برفقة الأجاريين غير المؤمنين، تمكن من تأمين القبر الإلهي. وعند شروق الشمس، وبعد أن رفع تلك الأيدي الموسوية مع شعب المسيحيين، صلى طويلاً إلى إله الجميع.

وفي حوالي الساعة السادسة من النهار، وبمجرد أن لاحظ القبر الإلهي للمخلص، رأى النور الإلهي (ظهور النور)، حيث تم إنشاء مدخل الباب له بواسطة ملاك؛ فانتهز الفرصة لنقل النور إلى الثريات في كنيسة الله المقدسة العظيمة، كما اعتاد أن يفعل، وفجأة رأى كنيسة الله بأكملها مملوءة بالنور الإلهي غير الممسوح، حتى أنه في بعض الأحيان تم نقل الأشخاص الأتقياء إلى الجانب الأيمن، وأحيانًا إلى اليسار، وبعضهم إلى البروبيلايا، والبعض الآخر إلى مكان الجمجمة والبعض

الآخر إلى السلسلة المعلقة على شكل صليب، لأنها كانت تحيط أيضًا بالمصابيح، ويقال عنها أن عالمنا يحتفل بها وبفضل هذه العلامة يتم تعليقها، بحيث يمكن أن تفاجئ الجميع بالضوء غير المتوقع؛ ولكن مع ذلك، فقد ملأ هذا الأمر بالدهشة والخجل حتى بين الآجارينيين الملحدين أنفسهم؛ لأنه منذ صعود المسيح إلى ذلك الحين، يُقال أنه في كل عام كان يولد إشعاع النور الإلهي في أحد المصابيح الموجودة داخل القبر المقدس؛ ولكن هذه المرة أضاء النور الإلهي الكنيسة بأكملها، حتى أن الجميع قالوا بصوت واحد:

› أيها الإله العظيم، مثل إلهنا، أنت الإله الذي يصنع العجائب وحدك.

وبينما كان أميريوس الفاجر بين الموعوظين، ممسكًا بسيف لامع عاريًا، سقط أمام الهيكل وحدثت معجزة رائعة ومثيرة للإعجاب؛ "المصباح الذي كان معلقًا مقابل المكان الذي سقط فيه أميريوس، والذي كان أكبر من حجم الحفرة، وبفضل بعض العناية الإلهية، ظل فارغًا من الماء والزيت، وامتلأ على الفور بنور إلهي، دون أن يكون فيه أي فتيل؛" لذلك، أمام هذا المنظر المتناقض، أصبح أميريوس القاتل والتعيس عاجزًا عن الكلام، بحيث فضّل أن يرى اليد على أنها نار أمام الجميع، وهكذا حدثت هذه الأشياء المتناقضة والرائعة؛ ومع ذلك، هذا، الذي يبدو متناقضًا بالفعل وفقًا للصليب الوحشي الذي تم إجراؤه، لا ينبغي للكثيرين أن يعتبروا أنه يحمل أي أثر للزيف، لأنني لا أسلم ضميري الخاطئ إلى أي شخص آخر، ما لم يفحص أعماق العقل بعين لا تنام؛ "هناك، إذن، من التنانين التي كانت على الجانب الأيمن من كنيسة الله المقدسة، على الصليب الذي كان على الجزء العلوي منهم، بعد ظهور نجمة في المنتصف، كانت تشع مثل الشمس، ولكن بعد فترة من الوقت، بعد تقسيمها إلى أربعة، ظهرت عالية متألقة في شكل صليب، بحيث يركض الجميع نحوها معًا، ويرفعون ترانيم النصرة لله الذي يوفر لنا، لكنني لا أعتقد أن مثل هذا الشيء واضح، ولكن قوة مملكتك المقدسة الأمينة لله ستخضع إسماعيل المكروه، كما أنها ستشوه أيضًا الدين غير النقي للأجاريين، تمامًا كما اعترف بذلك الأجاريون الكفار والفاسدون؛ لقد أعطى الله من خلال الصليب النصر لقسطنطين، الذي هو مشهور بين الملوك، لأنك "لقد وهبت صليبًا يحمل نفس الاسم والمثال، يرمز من خلال النجم إلى مملكتك المقدسة، والآن يا رب، لقد أخضعت وقويت وعززت رأس الأمة بأكملها، وأعدت قوة مملكتك الحديدية".

البيروني، يكتب في أوائل القرن الحادي عشر ويعتمد على مصدر من القرن العاشر، أرسل معلومات مزيدًا من الشهادات حول محاولات تدخل المسلمين في الطقوس وإحباطهم من الخصائص الخارقة للطبيعة للنار المقدسة. ويؤكد أيضًا أن الوقت المحدد لنزول النار المقدسة - والذي لم يكن من الممكن التنبؤ به - كان نذيرًا، وفقًا للتقاليد الشعبية، بأحداث خلال العام التالي. إن شهادته، التي تأتي من شاهد غير متعاطف، إن لم يكن معاديًا، تقدم تأكيدًا واضحًا لادعاء نيكيتاس، في المقطع السابق، بأن المعجزة السنوية في القبر حظيت بشعبية واسعة النطاق حتى داخل المجتمع المسلم. والأهم من ذلك أنه يمثل تقريرا موضوعيا عن الظاهرة من مصدر غير مسيحي مع وجود سبب ضئيل أو معدوم للاعتقاد بمثل هذه الظاهرة. هذا المقطع من عمل البيروني عن أعياد مختلف الطوائف الدينية في العالم الإسلامي.

الراهب الروسى دانيال يصف النور المقدس فى عام 1101م :

يعود تاريخ رحلات الحج الروسية إلى الأراضي المقدسة إلى تحول الروس إلى المسيحية في نهاية القرن العاشر. في وقت مبكر من عام 1022 م، تم الإشارة في حياة القديس ثيودوسيوس كييف إلى وجود الحجاج الروس في فلسطين؛ لكن أول من يُعرف اسمه هو القديس برلعام، رئيس دير لورا في كييف، الذي زار القدس عام 1062 م. وأقدم سجل موجود لرحلة حج روسية إلى الأراضي المقدسة هو سجل دانيال، رئيس الدير، أو بريور Prior {XXXX} ، من دير روسي، لا يعرف عنه شيء مؤكد. يمكن الاستدلال من إشارة دانيال إلى نهر سنوف، باعتباره نهرًا يمتلك العديد من خصائص نهر الأردن، أنه جاء من مقاطعة تشيرنيغوف، في روسيا الصغيرة، التي يمر عبرها نهر سنوف؛ ومن المفترض أنه هو نفس دانيال الذي كان أسقف سوريبف عام 1115 م، والذي توفي في 9 سبتمبر 1122 م. كان دانيال معاصرًا لنستور، أقدم مؤلفي الحوليات الروس، وتعد روايته من أهم الوثائق الروسية في بداية القرن الثاني عشر؛ ويبدو أن مزاياها الجوهرية جعلتها تحظى بشعبية كبيرة، ويوجد ما لا يقل عن خمسة وسبعين مخطوطة، يعود تاريخها الأقدم إلى عام 1475 م. ويمكن تحديد تاريخ الحج بقدر كبير من اليقين من تصريحات دانيال الخاصة. ويذكر الدوق الروسي الأكبر ميشيل سفياتوبولك إيزياسلافوفيتش

فيما يلي وصف للنور المقدس النازل على القبر المقدس، كما كرمني الرب أن يريني إياه، أنا خادمه الشرير وغير المستحق. فإني بالحقيقة رأيت مع نفسي الخاطئة كيف ينزل ذلك النور المقدس على قبر ربنا يسوع المسيح الفادي. كثير من الحجاج يخطئون في تفاصيل نزول ذلك النور المقدس، فمنهم من يقول أن الروح القدس ينزل على القبر على شكل حمامة. وآخرون أنه برق من السماء يشعل السرج فوق قبر الرب. وهذا كله غير صحيح، إذ لا يمكن رؤية حمامة ولا برق في تلك اللحظة؛ لكن النعمة الإلهية تنزل من السماء بشكل غير مرئي، وتضيء مصابيح قبر ربنا. سأصفها فقط بالحقيقة الكاملة كما رأيتها. وفي يوم الجمعة العظيمة، بعد صلاة الغروب، يقومون بتنظيف القبر المقدس وغسل جميع المصابيح الموجودة هناك؛ يملأون المصابيح بالزيت النقي بدون ماء، وبعد أن يضعوا الفتائل، يتركونها غير مضاءة، ويضعون الأختام على القبر في الساعة الثانية من الليل. وفي نفس الوقت يطفئون جميع المصابيح والشموع في كل كنيسة في القدس. في يوم الجمعة نفسه، في

الساعة الأولى من النهار، دخلت أنا، غير المستحق، إلى حضرة الأمير بالدوين، وانحنيت أمامه على الأرض. عندما رآني وأنا أنحني، طلب مني بطريقة ودية أن آتي إليه، وقال: "ماذا تريد، أيها رئيس الدير الروسي؟" لأنه كان يعرفني ويحبني، فهو رجل عظيم اللطف والتواضع، فقلت له: أميري وسيدي! من أجل محبة الله واحترامًا للأمراء الروس، اسمح لي أن أضع مصباحي على القبر المقدس باسم البلد الروسي بأكمله. ثم بلطف واهتمام خاصين، سمح لي بوضع سراجي على قبر الرب، وأرسل معي أحد كبار خدمه إلى حارس القيامة، وإلى حارس مفاتيح القبر المقدس. فأمرني الخازن وخازن المفاتيح أن أحضر سراجي مملوءا زيتا. شكرتهم، وسارعت، بكل سرور، إلى شراء مصباح زجاجي كبير جدًا؛ وبعد أن ملأته بالزيت النقي، حملته إلى القبر المقدس نحو المساء، واقتيدت إلى الحارس المذكور، الذي كان وحده في كنيسة القبر. فتح لي البوابة المقدسة وأمرني بخلع حذائي. وبعد ذلك، بعد أن أدخلني حافي القدمين إلى القبر المقدس، بالمصباح الذي كنت أحمله، أمرني بوضعه على قبر الرب. لقد وضعتها بيدي الخاطئتين على المكان الذي تشغله قدمي ربنا يسوع المسيح المقدستين. ومصباح اليونانيين هو موضع الرأس، ومصباح القديس سابا وجميع الأديرة في موضع الصدر؛ لأنه من عادة اليونانيين ودير القديس سابا أن يضعوا مصابيحهم هناك كل سنة. وبتوفيق الله أضاءت هذه السرج الثلاثة في تلك المناسبة، ولكن لم يضاء لها أحد من الإفرنج الذين كانوا معلقين في الأعلى. بعد أن وضعت سراجي على القبر المقدس، وبعد أن سجدت وقبلت، بتوبة ودموع تقوى، المكان المقدس الذي كان جسد ربنا يسوع المسيح يرقد عليه؛ خرجت من القبر المقدس ممتلئًا بالفرح، وانصرفت إلى قلايتي. وفي غد سبت النور، في الساعة السادسة والثانية من النهار، يجتمع الجميع أمام كنيسة القيامة المقدسة. يجتمع الغرباء والمواطنون من جميع البلدان، من بابل ومصر ومن كل أنحاء العالم، في ذلك اليوم بأعداد لا حصر لها؛ يملأ الحشد المساحة المفتوحة حول الكنيسة وحول مكان الصلب. كان التدافع فظيعًا، والاضطراب عظيم جدًا لدرجة أن العديد من الأشخاص اختنقوا وسط حشد كثيف من الناس الذين يقفون، وأيديهم غير مضاءة، في انتظار فتح أبواب الكنيسة. الكهنة وحدهم داخل الكنيسة، والكهنة والجموع على حدٍ سواء ينتظرون وصول الأمير وحاشيته؛ ثم، عندما تُفتح الأبواب، يندفع الناس إلى الداخل، ويتدافعون ويتدافعون، ويملأون الكنيسة والأروقة، لأن الكنيسة وحدها لا تتسع لمثل هذا الجمع. يجب أن يبقى جزء كبير من الجمهور في الخارج حول الجلجثة ومكان الجمجمة، وحتى المكان الذي

تم فيه وضع الصلبان؛ كل مكان مليء بعدد لا يحصى. كل الناس، داخل الكنيسة وخارجها، يصرخون بلا انقطاع، "كيري إليسون" (يا رب ارحمنا)؛ وهذه الصرخة عالية جدًا لدرجة أن المبنى بأكمله يتردد ويهتز معها. يذرف المؤمنون سيولاً من الدموع؛ حتى من له قلب حجري لا يستطيع أن يمتنع عن البكاء. كل واحد يبحث في أعماق نفسه، ويفكر في خطاياه، ويقول في نفسه سرًا: "هل خطاياي تمنع نزول النور المقدس؟" وهكذا يظل المؤمنون يبكون بقلوب مثقلة. يبدو الأمير بالدوين نفسه منسحقًا ومتواضعًا للغاية؛ تنهمر سيول من الدموع من عينيه؛ ويقف جناحه حوله متأملًا بالقرب من المذبح العالي مقابل القبر.

يوم السبت، حوالي الساعة السابعة، غادر الأمير بالدوين منزله مع حاشيته، وسار على الأقدام نحو قبر ربنا، وأرسل إلى قبر القديس سابا لرئيس دير ورهبان القديس سابا؛ تبعه رئيس الدير، بعد ذلك انطلق الرهبان إلى القبر المقدس، وذهبت معهم وأنا غير مستحق. عندما وصلنا إلى الأمير قمنا جميعا بتحيته؛ رد علينا التحية وأمرنا أنا ورئيس الدير، المتواضع، أن نسير إلى جانبه، بينما كان رؤساء الدير والرهبان الآخرون يتقدمون، والجناح يتبعهم. وهكذا وصلنا إلى الباب الغربي لكنيسة القيامة، لكن حشدًا كثيفًا أعاق المدخل لدرجة أننا لم نتمكن من الدخول. وبناءً على ذلك، أمر الأمير بالدوين جنوده بتفريق الحشد وفتح طريق لنا؛ لقد فعلوا هذا من خلال فتح ممر إلى القبر، وكنا قادرين على المرور عبر الجمع بهذه الطريقة. وصلنا إلى الباب الشرقي لقبرة الرب، والأمير الذي جاء بعدنا اتخذ موقعه على اليمين، بالقرب من سياج المذبح العالي، أمام الباب الشرقي للقبر؛ في ذلك المكان يوجد مكان مرتفع للأمير. أمر الأمير رئيس دير القديس سابا أن يتولى منصبًا فوق القبر، مع رهبانه والكهنة الأرثوذكس؛ أما أنا، المتواضع، فقد أوعز لي أن أقف في مكان أعلى، فوق (وراء؟) أبواب القبر المقدس، أمام المذبح العالي، حتى أتمكن من الرؤية من خلال أبواب القبر؛ هؤلاء الفاعلون، وعددهم ثلاثة، مختومون بالختم الملكي. وقف الكهنة اللاتينيون بجانب المذبح العالي. في الساعة الثامنة، بدأ الكهنة الأرثوذكس، الذين كانوا فوق (خارج؟) القبر المقدس، مع رجال الدين والرهبان والنساك، في ترديد صلاة الغروب؛ وبدأ اللاتينيون، عند المذبح العالي، يتمتمون على طريقتهم. بينما كان الجميع يغنون هكذا، احتفظت بمكاني وراقبت أبواب القبر باهتمام. عندما هم بدأ قراءة "الباروميا" parœmia لسبت النور أثناء قراءة الدرس الأول، وخرج الأسقف، يليه الشماس، من المذبح العالي، وتوجه إلى أبواب القبر، ونظر من خلال الشبكة، لكنه

لم يرى ضوءًا. ، عاد. وعندما بدأوا بقراءة الدرس السادس من الباروميا، عاد نفس الأسقف إلى باب القبر المقدس، لكنه لم يرَ أي تغيير. وبكى كل الشعب ثم صرخوا "كيري إليسون" التي تعني: "يا رب ارحمنا!" في نهاية الساعة التاسعة، عندما بدأوا في ترديد نشيد عبور (البحر الأحمر)، "كانتابو دومينو" Cantabo Domino ، سحابة صغيرة، قادمة فجأة من الشرق، استقرت فوق القبة المفتوحة للكنيسة؛ هطلت أمطار خفيفة على القبر المقدس، وبللتنا وجميع من كانوا فوق (وراء؟) القبر. في هذه اللحظة أضاء النور المقدس فجأةً القبر المقدس، وأشرق بسطوعٍ مذهلٍ ورائع. ثم فتح الأسقف، وتبعه أربعة شمامسة، أبواب القبر، ودخل بمستدق الأمير بلدوين ليشعله أولاً عند النور المقدس؛ أعادها بعد ذلك إلى الأمير، الذي عاد إلى مكانه ممسكًا بالاستدقاق في يديه بفرح عظيم. أشعلنا شعلتنا من شعلة الأمير، وهكذا أوقدنا الشعلة إلى كل من في الكنيسة. هذا النور المقدس لا يشبه أي لهب عادي، فهو يحترق بطريقة عجيبة بلمعان لا يوصف، ولون أحمر مثل لون الزنجفر cinnabar أو الأحمر الزاهي. يبقى جميع الشعب واقفين بأضواء مضاءة، ويرددون بصوت عالٍ بفرح شديد ولهفة: "يا رب ارحمنا!" لا يمكن للإنسان أن يشعر بفرح مثل ذلك الذي يشعر به كل مسيحي في اللحظة التي يرى فيها نور الله القدوس. ومن لم يشارك في مجد ذلك اليوم لن يصدق تقرير كل ما رأيته. إن الحكماء والمؤمنين وحدهم هم الذين سيضعون ثقتهم الكاملة في حقيقة هذه الرواية، ويسمعون بسرور كل التفاصيل المتعلقة بالأماكن المقدسة. الأمين في القليل يكون أميناً أيضاً في الكثير. لكن الحقيقة تبدو دائمًا كذبة للأشرار وغير المؤمنين. إن الله وقبر ربنا يشهدان لقصصي ولشخصي المتواضع؛ وكذلك الحال بالنسبة لرفاقي من روسيا ونوفغورود Novgorod وكييف Kief: إيزياسلاف Iziaslav إيفانوفيتش Ivanovitch غوروديسلاف Gorodislav ميخائيلوفيتش Mikhailovitch والكاشكيتش Kashkitch، والعديد من الآخرين الذين كانوا هناك في نفس اليوم. ولكن لنعود إلى روايتي. مباشرة أشرق النور في القبر المقدس، توقف الترنيمة، وتحرك الجميع نحو الكنيسة بفرح عظيم وهم يصرخون "كيري إليسون"، حاملين المصابيح المضيئة في أيديهم، ويحمونها من الريح. ثم يعود الجميع إلى منازلهم. والناس بعد أن يضيئوا مصابيح الكنائس بتناقصها يبقون فيها لإنهاء صلاة الغروب. بينما ينهي الكهنة بمفردهم وبدون مساعدة صلاة الغروب في كنيسة القيامة الكبرى. حاملين التناقص التدريجي للضوء، عدنا إلى ديرنا مع رئيس الدير والرهبان. أنهينا صلاة الغروب هناك ثم اعتزلنا إلى قلالينا، مسبحين الله لأنه تنازل ليظهر لنا

غير المستحقين نعمته الإلهية. في صباح يوم الأحد المقدس، بعد أن رددنا صلاة الصبح، تبادلنا القبلات مع رئيس الدير والرهبان، وحصلنا على الغفران، انطلقنا حوالي الساعة الأولى من اليوم نحو القبر المقدس؛ وكان رئيس الدير في يده صليبًا، وكل الرهبان يغنون الترنيمة، "أيها الخالد، لقد نزلت إلى القبر". بعد أن دخلنا القبر المقدس، غطينا قبر الرب المحيي بالقبلات والدموع الحارقة؛ تنفسنا بنشوة العطر الذي تركه حضور الروح القدس. ونظرنا بإعجاب إلى المصابيح التي كانت لا تزال مشتعلة ببهاء مشرق ورائع. أخبرنا الحارس وحارس المفاتيح ورئيس الدير أن المصابيح الثلاثة [الموجودة أسفل القبر المقدس] قد أضاءت. وكانت خمسة مصابيح أخرى معلقة بالأعلى مشتعلة أيضًا، لكن ضوءها كان مختلفًا عن ضوء المصابيح الثلاثة الأولى، ولم يكن بها ذلك السطوع الرائع. بعد ذلك غادرنا القبر من الباب الغربي، وتقدمنا إلى المذبح العالي، قبلنا الأرثوذكس وحصلنا على الغفران؛ ثم خرجنا مع رئيس الدير والرهبان من معبد القيامة المقدسة، ورجعنا إلى ديرنا للراحة حتى حان وقت القداس.

في اليوم الثالث بعد قيامة الرب، ذهبت بعد القداس إلى حارس مفاتيح القبر المقدس، وقلت له: "أريد أن آخذ سراجي". لقد استقبلني بلطف، وجعلني أدخل القبر بمفردي. رأيت مصباحي على القبر المقدس لا يزال مشتعلًا بلهب ذلك النور المقدس؛ سجدت أمام القبر المقدس، وبالتوبة، غطيت المكان المقدس الذي يرقد فيه جسد ربنا يسوع المسيح الطاهر، بالقبلات والدموع. قمت بعد ذلك بقياس طول القبر وعرضه وارتفاعه كما هو الآن، وهو أمر لا يمكن لأحد أن يفعله أمام الشهود. لقد أعطيت (حارس مفاتيح) قبر الرب ما أستطيع، وقدمت له حسب إمكانياتي هدية صغيرة فقيرة. رأى حارس المفاتيح حبي للقبر المقدس، فدفع اللوح الذي يغطي جزء القبر المقدس الذي كان عليه رأس المسيح، وكسر قطعة من الصخرة المقدسة؛ أعطاني هذا تذكارًا مباركًا، متوسلاً إليّ في نفس الوقت ألا أقول شيئًا عنه في أورشليم. بعد تقبيل قبر الرب مرة أخرى، وسلمت على الحارس، أخذت سراجي مملوءًا بالزيت المقدس، وغادرت القبر المقدس ممتلئًا بالفرح، غنية بالنعمة الإلهية، وحاملاً في يدي هدية من الرب. مكانًا مقدسًا، وعربونًا من قبر ربنا المقدس. مضيت في طريقي فرحًا كما لو كنت حاملًا ثروة كبيرة، ورجعت إلى قلايتي ممتلئًا بفرح عظيم[1].

---

[1] The Pilgrimage of the Russian Abbot Daniel in the Holy Land 1106-1107 A. D. By C. W. Wilson. P 74-81

وصف احتفال نزول النور المقدس بقلم فولشر دي شارتر FULCHER DE CHARTRES، 1101 م، في كتاب "GESTA DEI PER FRANCOS "

في يوم سبت النور، من كل عام، عندما ينزل النور المقدس بشكل غامض على قبر ربنا، ويظهر القوة الإلهية بإشعال المصابيح المعلقة هناك، من المعتاد أن يقضي الموجودون في الكنيسة اليوم في السهر والسهر. صلاة متواضعة إلى الله أن ينزل النور برحمته. ثم تمتلئ الكنيسة بأكملها بحشد لا يحصى من الناس ينتظرون عمل النعمة الإلهية.

ونحو الساعة الثالثة من النهار أمر البطريرك رجال الدين ببدء الخدمة لهذا اليوم. ثم تمت قراءة القراءات بالتناوب، من قبل اللاتينيين أولاً باللغة اللاتينية، وبعد ذلك من قبل اليونانيين، باللغة اليونانية واستمرت الخدمة على هذا النحو حتى الساعة التاسعة تقريبًا، عندما بدأ أحد اليونانيين، واقفًا في مكان معين في الكنيسة، حسب العادة القديمة، يصرخ بأعلى صوته "كيري إليسون" وكل هؤلاء انضم الحاضر إلى الترنيمة. كان فولشرFulcher الذي تأثر كثيرًا بالمشهد، يبحث في كل مكان عن ظهور الضوء، ولكن دون جدوى. بحلول الوقت الذي كرر فيه اليونانيون وجميع المساعدين في الحفل صلاة كيري إليسون ثلاث مرات، كانت الخدمة، التي لم يتوقف رجال الدين عن أدائها أبدًا، على وشك الانتهاء، وكان الجمهور المتدين يتطلع بفارغ الصبر إلى النور المقدس، الذي كان يظهر عادةً في الساعة التاسعة. وبعد ذلك بقليل عاد ترتيل كيري إليسون مرة أخرى، والنور المقدس لم يظهر بعد، ووقع صمت عميق على الجميع بينما استمر رجال الدين في قراءة القراءات والخدمة لهذا اليوم. وبعد مرور الساعة التاسعة من النهار، نادى البطريرك للمرة الثالثة "كيري إليسون" بنبرة مهيبة، وأخذ مفاتيح القبر المقدس، وفتح الباب، ودخل؛ ولكن عندما وجد أن النور الذي انتظرناه لم يظهر، سجد بالدموع أمام القبر المقدس، وطلب من الله تعالى أن يسمع صلوات شعبه ويرسل لهم النور المقدس كما في المناسبات السابقة. "نحن من جانبنا استأنفنا ترديد كيري إليسون، وجدّدنا صلواتنا إلى العلي، آملين أن يحمل لنا البطريرك، عند خروجه من القبر المقدس، نور الله الذي وجده هناك. ومع ذلك، عندما أطالت صلاته وتضرعاته الحارة، وعندما خرج أخيرًا من القبر بوجه منحني دون أن ينال النعمة التي كان يطلبها، سيطر شعور مؤلم باليأس على جميع الحاضرين.

صعد فولشر وأحد قساوسة البطريرك إلى الجلجلة ليروا ما إذا كان النور قادمًا، لكنهم لم ينجحوا؛ صرخات "كيري إليسون" ملأت الأجواء مرة أخرى، وتم نطق الصلوات بحماسة متزايدة ولكن دون تأثير؛ ولما اقترب المساء أمر البطريرك الجميع بمغادرة الكنيسة لتبقى فارغة أثناء الليل. وفي وقت مبكر من فجر يوم الفصح، تزاحم المنتظرون رحمة الله على الكنيسة، ودخل البطريرك إلى القبر المقدس ليرى هل قد ظهر النور؛ عدم العثور عليه؛ لقد جاء مكتئبًا جدًا، لكن الجميع صمموا على الاستمرار في الصلاة والدعاء. ذهب رجال الدين اللاتينيون مع الملك وحاشيته ومعظم الشعب في موكب حفاة إلى "هيكل الرب"، حيث وعد الله سليمان بالاستماع إلى صلواته، وهناك صلوا إلى الله عز وجل، أرسل النور المقدس. وبينما كان اللاتينيون يصلون بهذه الطريقة في "معبد الرب"، كان اليونانيون والسريانيون الذين بقوا في كنيسة القيامة يطوفون حول القبر، مقدمين صلوات إلى الله، وفي يأسهم قطعوا وجوههم. ، وتمزيق شعرهم بالرثاء الشديد. وبينما كان اللاتين عائدين، أُخبر البطريرك أن الضوء الذي طال انتظاره قد ظهر في أحد مصابيح القبر المقدس، وأن الأقربين يمكنهم رؤية لونه المحمر؛ عندما سمع ذلك أسرع خطواته على الفور، وفتح باب القبر بالمفتاح الذي كان يحمله في يده، ورأى على الفور الضوء المطلوب منذ فترة طويلة يسطع في المصباح. وفي فرحه سجد بتواضع أمام القبر المقدس وشكر الله. ثم أشعل شمعة وخرج ليُظهر للجميع النور المقدس، فصرخ الحاضرون، بفرح في قلوبهم ودموع في عيونهم، "كيري إليسون". بعد القداس، الذي ساعد فيه الملك، مرتديًا التاج على رأسه، وفقًا للعرف الملكي، أقام بلدوين مأدبة كبيرة في "معبد سليمان". وبينما كانت الوليمة مستمرة أُعلن عن ظهور النور المقدس مرة أخرى في اثنين من المصابيح المعلقة في القبر المقدس، وعاد الملك مع ضيوفه إلى الكنيسة ليروا المعجزة الجديدة[1].

شخص آخر يخبرنا عن هذه الفترة هو أودولريخ Odolric أسقف أورليان Orléans، فرنسي وقد زار أورشليم بين ١٠٢٥م ١٠٢٨م. يطلعنا هذا الأسقف أن النور كان ينبعث من القبر وهو مدمر (بعد أن هدمه أحد خلفاء الفاطميين)[2].

---

[1]) The Pilgrimage of the Russian Abbot Daniel in the Holy Land 1106-1107 A. D. By C. W. Wilson. P 106-107

[2]) مخطوط Codex Paris lat. 10912, 11th c

تستمّر الشهادات الكتابية القديمة مع المؤرخ الالماني البرت آشين Albert of Aachen، سنة ١١١٩م، وبطرس المغبوط سنة ١١٧٤م، المخطوط رقم ٧٩ الموجود في مكتبة تورينو الذي يعود إلى سنة ١١٤٩م، الراهب الإيسلاندي نقولاس برغسون Bergsson سنة ١١٥٤م، الأسقف الألماني ثيوذوريخوس سنة ١١٧١م، و المؤرخ الفارسي علي الحراث سنة ١١٧٣م.

مخطوطة بطريركية القدس Hagios Stauros [HS 43]. تحتوي هذه المخطوطة على نسخة مطبوعة ونصوص كاملة للصلوات والأشعار الليتورجية المستخدمة في الأسابيع العظيمة والمشرقة في البطريركية الأورشليمية. منسوخة ومقتبسة من كتاب سابق للكاتب باسيليوس عام 1122، يبدو أن المخطوطة مكونة من طبقتين من المادة. بتلخيص تحليل المؤرخ A. Baumstark's للمادة، يبدو أن بيرتونيير Bertoniere يتفق معه على أن "الطبقة اللاحقة تخص فترة المملكة اللاتينية في حين أن الطبقة السابقة تعود إلى زمن فوتيوس (887)، إذا كان هذا التأريخ صحيحًا، فسيكون ذلك بمثابة توسيع لمعاييرنا لشاهد ما قبل القرن التاسع للنظر في Typicon هنا :
وعندما ينتهي حاملو الطيب من ملء وإعداد السرج، يختم البطريرك القبر المقدس ويأخذ المفاتيح معه، وبعد ذلك تنطفئ جميع السرج في الكنيسة. يدخل البطريرك مع رجال الدين بثياب بيضاء إلى كنيسة القيامة، دون إشعال المصابيح، ودون مبخرة، وتبدأ صلاة الغروب بهدوء خلف القبر المقدس.... وفور انتهاء قراءات النبوات، يصعد البطريرك على درجات المذبح المقدس ويعهد بالبخور إلى المتروبوليت والأساقفة والكهنة، فيبدأون بالتبخير هو نفسه والأساقفة والكهنة معه، يبخرون الكنيسة خارج كنيسة القيامة ويطوفون بها. ذلك ثلاث مرات. ثم يتم إغلاق القبر. ثم يخرجون، وبعد تبخير الطابق السفلي، يصعدون إلى الجلجلة المقدسة ليبخروها أيضًا والبستان المقدس وكنيسة القديس قسطنطين والسجن المقدس حتى يصلوا إلى أبواب (كنيسة). القيامة المقدسة إلى ما يسمى بباب حاملات الطيب. ثم يأخذ نواب الشمامسة المجامر من الكهنة ويصعدون جميعاً على الدرج المقدس. فيبدأ البطريرك بالقول ببطء ودون توقف. 'يارب ارحمنا' عندما ينزل البطريرك على الدرج، يدعم رئيس الشمامسة والشمامسة ذراعيه على كلا الجانبين؛ قبلهم يذهب sakkelarios، بينما يتبعهم paramonarios و kastrincios. ثم يسجد البطريرك ووجهه على الأرض مقابل درجات المذبح ويصلي باكياً من أجل جهل الشعب ويمد يده عالياً. يفعل هذا ثلاث مرات،

والذين معه أيضًا يفعلون كذلك. والشعب يصرخ دون انقطاع: "يا رب ارحم". وعندما يدخل البطريرك ومن معه إلى القبر المقدس يسجدون ثلاث مرات ويصلون عن أنفسهم وعن الشعب، ثم يأخذ البطريرك نوراً من النار المقدسة ويعطيه لرئيس الشمامسة، ورئيس الشمامسة إلى الكهنة. الناس؛ بعد ذلك يخرج البطريرك ومن معه وهم ينشدون بيت الشعر أشرقي أشرقي يا أورشليم الجديدة[1].

يصف المؤرخ الإنجليزي غوتييه فينيسوف Gautier Vinisauf القصة المتعلقة بنزول النار المقدسة عام 1187. وفي عام 1187، استولى المسلمون بقيادة السلطان صلاح الدين على القدس. وفي تلك السنة رغب السلطان في حضور الاحتفال رغم أنه لم يكن مسيحياً. يخبرنا غوتييه فينيسوف بما حدث: "عند وصوله، نزلت النار السماوية فجأة، وتأثر المساعدون بشدة ... وقال المسلمون ... إن النار التي رأوها تنزل كانت ناجمة عن وسائل احتيالية. وأراد صلاح الدين فضح الكذب، فأطفأ المصباح الذي أضاءته نار من السماء، فأضاء المصباح مرة أخرى في الحال، فأطفأه مرة ثانية وثالثة، فأضاء من جديد عندها صرخ السلطان مرتبكًا بالنعت النبوي: نعم، سأموت قريبًا، أو سأخسر القدس[2].

حتى القرن الثالث عشر كان يحتفل الكاثوليك مع باقي الطوائف المسيحية الأخرى بظهور النور المقدس، لكن في عام 1238م أصدر بابا روما مرسوم اتهم فيه الكنيسة اليونانية بالغش والتزوير ورفضوا الاعتراف رسمياً بالإيمان بهذه المعجزة. وقد ظهر هذا جلياً بعد أن اعتمد الغرب الكاثوليكي التقويم الغريغوري في القرن السادس عشر، بينما هذه المعجزة فقط كانت تحدث في عيد الفصح الأرثوذكسي. إلا أنه قد ظل الكثير من الجماعات الكاثوليكية، وخاصة الفرنسيسكان، أوصياء على الأرض المقدسة، واصلت الإيمان وتكريم المعجزة، التي كانت معروفة في أوروبا في العصور الوسطى لعدة قرون. فلدينا شهادة هامة لأحد الإخوة الرهبان الفرنسيسكان الذي يدعى "نيقولو" يقول فيها: "كان يصرخ الجمع بأعلى صوته: يارب ارحم، أيها المسيح ارحمنا، بينما كان الناس تحدق كثيرا في الطاقات (النوافذ) العلوية لرؤية النور المقدس. واستمر هذا لمدة ساعتين. فأضاءت كل المصابيح

---

[1] (CodexJerusalem Patriarchate Hagios Stauros 43 [HS 43]
[2] (Hvidt N.C. Miracles - Encounters Between Heaven And Earth, Gyldendal. Pp. 203-229

داخل القبر المقدس، بينما كان السراسنة (اسم المسلمين وقت الحملات الصليبية) يحرسون البوابات لمنع المسيحيين من الدخول، فرأيت حمامة نازلة على كنيسة القبر المقدس من النافذة السابق ذكرها، ثم ظهر نور عظيم داخل القبر المقدس، شديد اللمعان، وثم يعتبر نفسه الإنسان الأكثر سعادة من يمكنه الحصول على هذا النور أولاً[1].

في عام 1375، زار الحاج الروسي الأرشمندريت أرسينيوس الأماكن المقدسة وسجل ما يلي. وكان المسلمون حينها يسيطرون على القدس، كما كانوا منذ عام 1244.

... حسب العادة، ... يحتفل البطريرك بليتوانيا litia بالقرب من القبر المقدس ظهر يوم السبت العظيم من أجل النار المقدسة. وجاء البطريرك ومعه المتروبوليت جرمانوس من مصر والأسقف مرقس الدمشقي... والأب إسطفانوس من دير القديس سابا مع جميع رجال الدين. فداروا حول قبر الرب مرتين، وبعد الدورة الثالثة ظهرت فوق القبر المقدس سحابة صغيرة من الدخان. ثم فتحوا القبر (كوفيكليون Kuviklion) ودخل البطريرك مع أسقف الأرمن، إذ امتلأت المغارة بالنور المقدس وأضاءت جميع المصابيح التي أطفأت وأعدت منذ الجمعة العظيمة. وأشعل البطريرك شموعاً من النار المقدسة ومن البطريرك الكنيسة كلها وارتفعت صرخة عظيمة من الكنيسة كلها عند ظهور النور. وبعد فترة قصيرة تم إطفاء الشموع التي يحتفظ بها الجميع مباركة. ثم بدأ البطريرك قداس السبت العظيم[2].

يذكر بول فالتر Paul Walther في عام 1481، جرت العادة أن يتم فتح أبواب كنيسة القيامة للمسلمين، ويدخل ثلاثة كهنة أو أساقفة إلى قبر المسيح. كان أحدهم من اليونانيين، والآخر من الأرمن، والثالث من الحبشيين، وقد تم حبسهم في القبر للوقت الذي يمكن خلاله قراءة الدواء الوهمي، حوالي خمسة عشر إلى عشرين دقيقة. والشيء التالي، الذي لاحظه فالتر، كان أسقفًا

Fra’ Niccolò of Poggibonsi, A Voyage Beyond the Seas, 1346–1350, trans. by Theophilus ([1]
.Bellorini and Eugene Hoade (Jerusalem: Franciscan Press, 1993), pp. 23–24
Callistos, "Holy Fire," p. 16 ([2]

أرمنيًا يخرج من القبر المقدس بنور مشتعل، وبعد أن أضاءت جميع الأضواء، قامت "الأمم" بموكبها ثلاث مرات حول القبر المقدس[1].

في أواخر القرن الخامس عشر، قام شخص يُدعى بول فالتر بزيارة الأماكن المقدسة. وبينما كان من الواضح أنه غير مؤمن بـ "خطأ" النار المقدسة، إلا أنه سجل بعض التفاصيل المهمة. فيما يلي ملخص ميناردوس لرواية فالتر:
وفي عام 148هـ، جرت العادة أن يفتح المسلمون أبواب كنيسة القيامة، ويدخل إلى قبر المسيح ثلاثة كهنة أو أساقفة. كان أحدهم من اليونانيين، والآخر من الأرمن، والثالث من الحبشيين، وقد تم حبسهم في القبر للوقت الذي يمكن خلاله قراءة الدواء الوهمي، حوالي خمسة عشر إلى عشرين دقيقة. والشيء التالي، الذي لاحظه فالتر، كان أسقفًا أرمنيًا يخرج من القبر المقدس بنور مشتعل، وبعد أن أضاءت جميع الأضواء، قامت "الأمم" بموكبها ثلاث مرات حول القبر المقدس[2] .

[1]) Bishop Auxentios of Photiki. The Paschal Fire in Jerusalem: A Study of the Rite of the Holy Fire in the Church of the Holy Sepulchre

[2]) The Ceremony of the Holy Fire in the Middle Ages and To-day, P 247

معجزة إنشقاق العمود الرخامى

في نهاية القرن السادس عشر، حدث معجزة من شأنها أن تكون حافزًا لعنصر جديد في الطقس - موكب تذكاري منتصر وصاخب، وإن كان فوضويًا إلى حد ما، من قبل المسيحيين الأرثوذكس المحليين (العرب). فيما يلي وصف للحدث بقلم الأرشمندريت كاليستوس:

في عام 1580، في عهد بطريرك القدس صفرونيوس، حدثت المعجزة المجيدة التالية في يوم السبت العظيم. خرجت النار المقدسة من عمود (حجري) منقسم، وهو مرئي حتى الآن بجوار أبواب الكنيسة، للسبب التالي. كان الأرمن في ذلك الوقت سيئين تجاه الأرثوذكس. ووعدوا بإعطاء والي القدس مبلغاً كافياً من المال حتى يتدخل ويمنع البطريرك الأرثوذكسي من دخول كنيسة القيامة يوم السبت العظيم. أطاع الوالي وأمر بذلك بدافع الجشع. وهكذا دخل الأرمن فقط الكنيسة بفرح عظيم آملين أن ينالوا النار المقدسة، بينما وقف الأرثوذكس مع البطريرك في الخارج في الفناء وصلوا في حزنهم إلى الله بقلوب منسحقة لكي يظهر رحمة رأفته. وأثناء صلاتهم انشق العمود المذكور وخرجت منه النار المقدسة. فلما رأى ذلك البطريرك صعد سريعاً وأضاء بكل خشوع الشموع التي في يده ووزع النار على الأرثوذكس لتقديسهم. عندما رأوا المعجزة فتح حراس البوابة المحمديون أبواب الكنيسة على الفور. ودخل البطريرك والجموع الغفيرة معه إلى الكنيسة وهم يغنون: "ما أعظم الله مثل إلهنا..." وأقيم القداس. ونتيجة لهذه المعجزة، اعترف أحد حراس أبواب الكنيسة بصوت عالٍ بأن المسيح هو ابن الله وآمن به. لكن رفاقه (السابقين) عندما سمعوا ذلك غضبوا وأحرقوه في الفناء المقدس. وبهذه الطريقة نال استشهاداً[1].

في يوم سبت النور عام 1579، بحسب سجلات الكنيسة لمدينة القدس، منع الولاة الأتراك البطريرك اليوناني والمؤمنين الأرثوذكس من دخول كنيسة القيامة لأداء طقوس النار المقدسة المعتادة. الأعمال التي تشير إلى هذا الحدث لا تحدد التاريخ الدقيق، لكنها تذكر أنه في الوقت الذي كان فيه بطريرك القدس صفرونيوس الرابع، كان بطاركة القسطنطينية والإسكندرية وأنطاكية، على التوالي، إرميا وسيلفستر ويواقيم. وكان سلطان الدولة العثمانية مراد الثالث.

---

[1] Callistos, "Holy Fire," p. 17. A lengthier description is found in Monk Parthenius, "Holy Week and Pascha in Jerusalem," Orthodox Life, XXXIV(2), pp. 28-29

وإذا نظرنا إلى القوائم الرسمية لهذه البطريركيات الأربع نجد أن بطاركة الروم الأرثوذكس الأربعة كانوا بالفعل في مناصبهم في النصف الثاني من القرن السادس عشر، وإذا فحصنا الفترة الدقيقة لحكم كل بطريرك وفترة حكم السلطان مراد الثالث فنكتشف أن السنة المشتركة الوحيدة التي تزامنت فيها قيادة الرجال الخمسة هي سنة 1579.

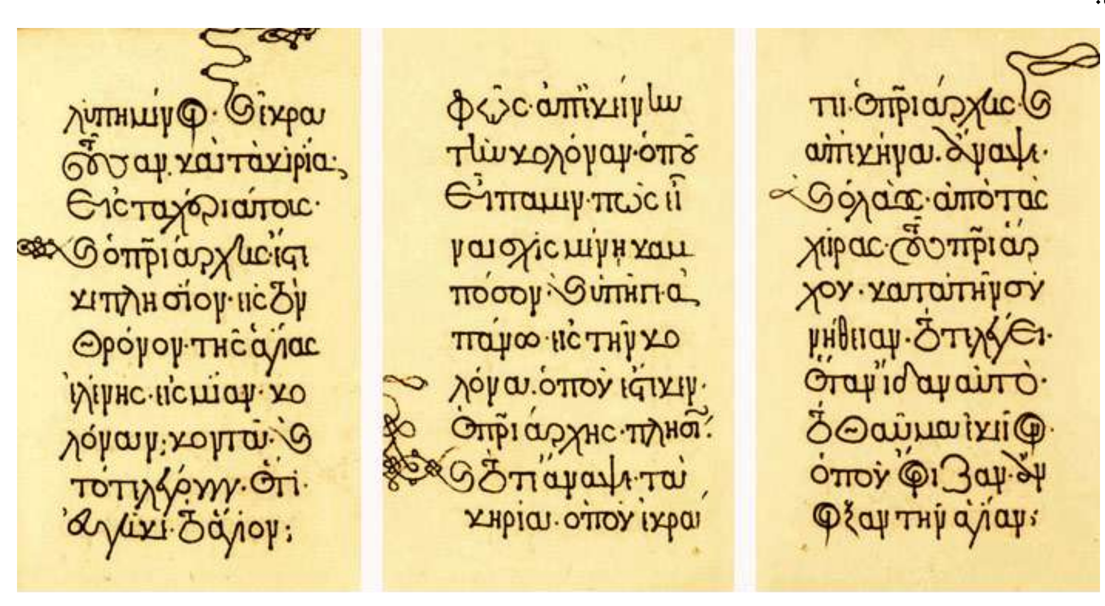
وبحسب مصادر مكتوبة، في يوم سبت النور من ذلك العام، منعت مجموعة من الجنود الأتراك دخول الأرثوذكس إلى كنيسة القيامة. وبقي جموع المؤمنين في باحة الكنيسة طوال اليوم، وحتى بعد غروب الشمس. وكان البطريرك اليوناني صفرونيوس الرابع في السنة الأولى من حكمه. وكانت هذه هي المرة الأولى التي يؤدي فيها أهم طقوس السنة، لكن الأتراك حرموه من حقه القانوني. ووقف البطريرك يصلي على الجانب الأيسر من باب الكنيسة، بالقرب من أحد الأعمدة. وفجأة، عندما حل الليل بالفعل، انقسم العمود وقفزت النار المقدسة من داخله. وعلى الفور أشعل البطريرك شمعته وسلم النار المقدسة إلى المؤمنين. وفي غضون دقائق قليلة انتشرت الشعلة المقدسة بين جميع الحاضرين وأضاءت ساحة الكنيسة. ثم فتح الحراس الأتراك المذهولون أبواب الكنيسة، وتدفق البطريرك والمؤمنون المبتهجون نحو كنيسة القيامة.

تم تسجيل أحداث ذلك اليوم في كل ما يسمى مزارات Proskynitaria القدس، مرشدي الحجاج إلى الأراضي المقدسة. أقدم هذه المزارات التي ورد فيها ذكر انشقاق العمود موجودة في مخطوطة يونانية موجودة في مكتبة ولاية بافاريا في ميونيخ. إنه Codex Monacensis Graec. 346، وفيها مزارات القس حنانيا. كتب المخطوطة القس الكريتي أكاكيوس عام 1634، وهو نسخة من العمل الأصلي للكاهن حنانيا الذي كتبه عام 1608، بعد تسعة وعشرين عامًا من المعجزة التي يصفها. وهذا يعني أن حنانيا كان قادرًا على جمع المعلومات من الأفراد الذين عايشوا الأحداث بالفعل.

نُشرت طبعة من مخطوطة مكتبة ولاية بافاريا لأول مرة باللغة اليونانية الأصلية في عام 1890 بواسطة بابادوبولوس-كيراميوس في سانت بطرسبرغ[1]، جنبًا إلى جنب مع ترجمة روسية. وبحسب رواية الكريتي أكاكيوس، يروي الكاهن حنانيا ما يلي:

[1] Προσκυνητάριον της Ιερουσαλήμ και των Λοιπών Αγίων Τόπων, 1608–1634 [Proskynitarion of Jerusalem and the Other Holy places, 1608–1634], ed. A. Papadopoulos-Kerameus, with Russian trans. by G.S. Destounis, St. Petersburg 1890, p. 17

خارج المدخل المقدس، بالقرب من الجانب الغربي، هناك ثلاثة أعمدة رخامية، ومن العمود الأوسط، يقولون، انبثقت نار مقدسة في الأيام الماضية. وهي متصدعة تمامًا ولا تزال مرئية حتى يومنا هذا. وأظهر الله هذه المعجزة على النحو التالي، حيث يقولون إن الذين أمروا البطريرك في ذلك الوقت لم يسمحوا [للامسيحيين] بالدخول والاحتفال بعيد القيامة حسب العادة. وكان البطريرك في الخارج مع الشعب في الفناء مساء سبت النور، وكان الجميع حزينين وهم يحملون الشموع. في أيديهم. وكان البطريرك واقفاً عند كرسي القديسة هيلانة بجانب عمود. وبعد ذلك يقولون إن النار المقدسة خرجت من ذلك العمود الذي قلنا أنه لا يزال متشققاً تمامًا، وذهبت إلى العمود القريب من المكان الذي كان البطريرك واقفًا فيه. ثم أوقد البطريرك شموعه من هناك، ثم أوقد الشعب شموعهم من تلك التي عند البطريرك، كما جرت العادة. ويقال أنه لما رأى الرؤساء هذه المعجزة فتحوا الباب المقدس ودخل البطريرك مع الشعب وأقاموا القداس العيدي حسب العادة.



The account of Ananias on the ruptured column in Codex Monacenis Gr. 346, 1634. Illustrated above are folios 83v, 84r, 84v and below are folios .85r, 85v, 86r. Munich, Bayerische Staatsbibliothek

تم تضمين نفس السرد، مع مزيد من المعلومات، في العديد من المزارات الأخرى المنشورة في القرون اللاحقة. نُشرت أقدم طبعة من أدلة الحج هذه، بعنوان بروسكينيتاريون مدينة القدس المقدسة،

في فيينا عام 1749 وكتبها سمعان، الأرشمندريت وحارس كنيسة القيامة. تم تأكيد انقسام العمود وإشعاله الذي حدث عند حلول الظلام من خلال العمل.

كتب سمعان الأرشمندريت:

ثم وقف البطريرك خارجًا في باحة الكنيسة مع الشعب يوم السبت العظيم عند حلول الليل، يصلي للرب بكل قلبه وبحزن شديد. وصعد البطريرك إلى كرسي القديسة هيلانة بجوار العمود يصلي مع الشعب. آه، من أجل محبة السيد للبشر، انشق عمود وخرجت النار المقدسة، وأسرع البطريرك وأضاء الشموع التي كان بين يديه، ومن يديه أضاء الشعب شموع التقديس منها[1].

θαυμαστὸς ὁ θεὸς ἐν τοῖς ἁγίοις αὐτοῦ. Τότε ὁ πριάρχης ἐστάθη
ἔξω εἰς τὴν αὐλὴν τῆς ἐκκλησίας, τῷ ἁγίῳ καὶ μεγάλῳ σαββάτῳ,
μὲ τὸν λαὸν πρὸς ἑσπέραν, μετὰ μεγάλης λύπης δεόμενοι τοῦ κυρίου
ὁλοψύχως. Καὶ ὁ πριάρχης ἀνέβη εἰς τὸν θρόνον τῆς ἁγίας ἑλένης
πλησίον μιᾶς κωλώνας, προσευχομένου δὲ τοῦ πριάρχου μετὰ τοῦ
λαοῦ. Ὢ τῆς φιλανθρωπίας σου δέσποτα ἐσχίσθη μία κωλώνα καὶ
ἐβγῆκε τὸ ἅγιον φῶς ἔξω, καὶ ἔδραμεν ὁ πριάρχης καὶ ἄναψε τὰ
κηρία ὁποῦ ἐβάσταζεν εἰς τὰς χεῖρας του, καὶ ἀπὸ τὰς χεῖρας αὐτοῦ
ἄναψε τὰ κηρία ὅλος ὁ λαὸς εἰς ἁγιασμὸν αὐτοῦ οἱ δὲ ἀρμένιοι ἐκαρτε,

written by The account of the split column in the proskynitarion Symeon, published in Vienna, 1749, p. 19

كما تذكر طبعة فيينا حادثة أخرى تتعلق بأمير عربي يُدعى تونوم Tunom، كان موجودًا في باحة الكنيسة وقت حدوث المعجزة. وعندما رأى اشتعال العمود أدرك حقيقة معجزة النار المقدسة واعترف لإخوانه في الدين بقوة يسوع المسيح. وبعد أن تشاجر معهم، أصبح اعترافه سبباً في صدور الأمر بإعدامه[2]، ومن ثم حرق جثته. يتم تكريمه اليوم باعتباره الشهيد الرسمي للكنيسة الأرثوذكسية. يتم الاحتفال بذكراه في 18 نيسان وتحفظ رفاته في دير السيدة العذراء ميغالي باناجيا Megali Panagia في القدس.

في طبعة فيينا عام 1749، ص 20. "ويلاحظ فيما يتعلق بالتنوم العربي ما يلي: "وهناك أيضًا بعض الدبابيس المثبتة في الأرض، أمام عتبة الباب المقدس من ذلك الوقت، تخليدًا لذكرى المعجزة الفعلية التي يقولون إنها دفعها أمير" الذي رأى تلك المعجزة الرائعة آمن على الفور بالمسيح،

[1]) Symeon, Προσκυνητάριον Αγίας Πόλεως Ιερουσαλήμ [Proskynitarion of the Holy City of Jerusalem], Vienna 1749, p. 19

[2])

والهتاف هو إيمان المسيحيين، وغرز تلك المسامير واحدًا تلو الآخر في الحجر، كما في الشمع الناعم، وهكذا شهد واستسلم للنار. كما أن حادثة المسامير مذكورة بإيجاز في مخطوطة ميونيخ (الصفحة 87و) على النحو التالي: "هناك أيضًا بعض الدبابيس المسمرة في الأرض أمام الباب المقدس؛ يقولون إنهم دُفعوا منذ ذلك الوقت».

يوجد وصف مهم آخر للانقسام المعجزي للعمود في تاريخ الراهب المولدافي بارثينيوس أجيف، الذي زار القدس عام 1845. وفي المجلد الثاني من تاريخه، يذكر بارثينيوس أن العمود انقسم وأشعل بعد أن تم إشعاله لأول مرة. ضربه البرق::

ويكرم هذا العمود الأرثوذكس وغير الأرثوذكس وحتى الأرمن. أود أن أكتب قليلاً عن هذه الحادثة، وكيف يتحدث عنها المسيحيون الشرقيون الأرثوذكس بالإجماع ويؤكدها الأتراك أنفسهم. وفي الجدار لوح من الرخام منقوش عليه، ويقولون إن هذه الحادثة مكتوبة عليه؛ ولكننا لم نتمكن من قراءتها لأنها مكتوبة بالحروف السريانية وباللغة العربية؛ وسمعت عنه فقط ولم أقرأه.

ويتابع في وصف المعجزة:

لقد مرت نصف ساعة بالفعل وأكثر، ولكن النار المقدسة لم تظهر بعد. كان اليوم واضحًا وجميلًا. وجلس البطريرك عن اليمين. فجأة ضرب البرق، وعلى الجانب الأيسر، تصدع العمود الرخامي الأوسط وخرج من الشق شعلة من النار. فقام البطريرك وأضاء شموعه وأضاء جميع المسيحيين الأرثوذكس شموعهم منه[1].

Monk Parthenius, “Holy Week and Pascha in Jerusalem,” Orthodox Life 34 (1984), pp. 28–29 ([1]



يستشهد الأرشمندريت كاليستوس بمقطع آخر يحتوي، على الرغم من اختصاره، على وصف رائع للنار. المؤلف هو رئيس أساقفة الناصرة جبرائيل، الذي ذهب إلى روسيا لجمع الأموال اللازمة لعمله في الأراضي المقدسة. العمل الذي أُخذ منه الوصف، دليل الأماكن المقدسة التي زارها الله في المدينة المقدسة، نُشر في موسكو عام 1650 وأصبح مصدرًا شائعًا للقراءة الورعة بين المؤمنين الروس.
في يوم السبت العظيم، يأتي الأتراك مبكرًا ويطفئون جميع المصابيح في الكنيسة، ويغلقون أبواب القبر المقدس، ويختمونه، ويجلسون على الأبواب، ويحرسون. يصلي المؤمنون إلى الرب بالدموع، طالبين المعونة من الأعالي. وفي الساعة التاسعة من النهار يجتمع البطريرك مع جميع الإكليروس ويحتفلون بثلاث أوشية حول القبر المقدس. في تلك اللحظة يفتح الأتراك أبواب كوفوكليون ويدخل البطريرك ويستقبل النار من القبر مثل لهيب الندى ويوزعها على المؤمنين. ثم يُقام قداس القديس باسيليوس الكبير[1].

تحدث الحاج الروسي Hieromonk Melety مع رئيس الأساقفة ميصائيل Misail، الذي قام بالحج إلى الأراضي المقدسة في 1793-1794؛ ونرى أن رئيس الأساقفة ميصائيل نفسه تحدث عن النار المقدسة بشكل مختلف تمامًا، قائلاً: "عندما دخلنا الكنيسة وذهبنا إلى القبر المقدس، رأينا على سطح القبر كله نورًا لامعًا، منتشرًا مثل اللآلئ الصغيرة، أزرق فاتح، أبيض. والقرمزي والألوان الأخرى، التي تتدفق معًا وتحمر وتتحول مع مرور الوقت إلى نار؛ لكن هذه النار - للمدة التي يستغرقها قول "يا رب ارحم" 40 مرة - لا تحترق؛ ومن هذه النار تضاء المصابيح والشموع[2].

---

[1] Callistos, "Holy Fire," p. 18)

[2] Quoted from: Avdulovsky F.M. The Holy Fire Coming Out from the Sepulcher of Our Lord God and Saviour Jesus Christ. Moscow, 1887. pp.46-47)

شهادة الراهب الراهب المولدافي Moldavian سنة 1846 م :

بالنسبة للمسيحيين، كانت أعظم الأعياد والاحتفالات تقترب. كان وقت الفرح والحزن يقترب. فرحنا بسبب هذا، بأننا سننال نعمة جديدة من النار السماوية، ونحتفل بأروع عيد الفصح المقدس في مدينة القدس المقدسة. ومع ذلك، حزننا في قلوبنا لأن الوقت قد حان لفراق الجميع. لقد عشنا ستة أشهر معًا وتعارفنا. ولكن أكثر من أي شيء آخر كنا نخشى تلك اللحظات المريرة عندما يتعين علينا مغادرة مدينة القدس المقدسة، قبر المسيح المقدس الحامل للحياة والأماكن المقدسة الأخرى. جئنا إلى غرفنا، وتناولنا العشاء، واسترحنا، ثم ذهبنا لقضاء الليل في كنيسة القيامة. كان صلاة الصبح يوم الخميس مهيبة؛ وأُقيم القداس المبكر على قبر المسيح؛ وقام أسقف بدور المحتفل الرئيسي وكان هناك العديد من المتناولين في القداس.

أُقيم القداس الأخير في البطريركية، وكان البطريرك نفسه يخدم. أما غسل الأرجل فكان في الساحة المقابلة للبوابات المقدسة لكنيسة القيامة. كانت هناك منصة بارتفاع ثلاث درجات، وحولها درابزين، وعلى الدرابزين أعمدة. وكانت هناك شموع كبيرة على الأعمدة. وكانت المنصة مفروشة بالسجاد. وفي الوسط وُضعت طاولة مطلية بالذهب، وعلى الجانبين اثنا عشر كرسيًا. وعلى الحائط باتجاه الشرق عُلقت أيقونات، وأمامها كانت الشموع مشتعلة؛ وبجانب هذا الحائط نُصب عرش لقراءة الأناجيل. وجاء مئة جندي ووقفوا حول العرش. وفي الساحة، وفي دير القديس إبراهيم، وفي ميتوخيون جثسيماني، وفي الدير البطريركي، وفي كنيسة القيامة، كانت هناك حشود كبيرة من الناس. ووقفنا في كنيسة القيامة. رأينا البطريرك خارجًا من الدير البطريركي بكامل ثيابه، يرافقه الأساقفة واثني عشر كاهنًا. تقدّمهم اثنا عشر صبيًا بملابس الخدام حاملين الشمعدانات والشموع؛ ثم المرتلون؛ ثم الشمامسة مع المجامر. ثم جاء الكهنة وسبعة شمامسة يحملون الديكيري والتريكيري. وخلفهم جاء البطريرك الذي كان يبارك الشعب بكلتا يديه؛ وخلفه الأساقفة بالراسا. وبعد أن صعد البطريرك إلى المنصة، جلس في مكانه وأمر الكهنة الآخرين بالجلوس حسب رتبهم. وقف الأساقفة يراقبون. بدأ ترتيب غسل الأرجل وفقًا للتيبيكون، وقرأ رئيس المتوحدين الإنجيل من على العرش.

قبل حلول المساء، أُقيمت مباركة الزيت في جميع الأديرة، وقام الأساقفة في كل مكان بمسح جميع الحجاج بالزيت. في ذلك المساء، لم تُفتح كنيسة القيامة ولم يُسمح لأحد بالمبيت فيها. لكن نبيلة روسية طلبت من البطريرك والقنصل إقامة صلاة الغروب على الجلجثة نصفها باللغة الروسية. احترم البطريرك طلبهم، وعندما حلّ المساء، فتحوا الأبواب المقدسة وسمحوا للروس فقط بالدخول إلى الكنيسة. تُليت صلاة النوم على الجلجثة، ورُتّلوا القانون الكامل للصليب باللغة اليونانية. ثم ذهب اليونانيون للنوم، وذهبنا نحن الروس إلى الكهف حيث وجدت الإمبراطورة هيلانة الصليب. هناك قرأنا أناجيل الآلام الاثني عشر والسنكسار وغيرها من الأشياء المناسبة لذلك اليوم، ورتّلنا مديح الصليب الجليل.

عندما بدأوا في قرع السمانترون لصلاة الفجر، ذهبنا جميعًا إلى الجلجثة، وأُقيمت صلاة الفجر وفقًا للتيبيكون. قرأوا الأناجيل - ستة باليونانية وستة بالروسية. رُتّلت الترانيم والقوانين من قِبل الجوقة اليمنى باليونانية واليسرى بالروسية؛ واستمرت الخدمة ست ساعات. قُرئت جميع الساعات الملكية ورُتّلت على الجلجثة باللغة الروسية. في الصباح لم تُفتح أبواب الكنيسة وكان هناك صمت في الكنيسة. في الساعة الثانية عشرة من اليوم، أُرسل شمامسة إلى كل مكان مقدس لتبخيره. أولاً، بخر شمامسة أرثوذكسيان. ثم بخر شمامسة أرمنيان يرتديان تيجانًا. ثم ذهب شمامسة قبطيان أيضًا، يرتديان تيجانًا. لم يُبخر اللاتين. يرتدي شمامستهم ملابس مختلفة عن جميع الديانات الأخرى. ثم أقام الجميع مواكب. في الساعة الواحدة ظهرًا، فتحوا الأبواب المقدسة العظيمة للكنيسة. اندفع الناس إلى الكنيسة، وساد ضجيجٌ عظيم. هرع الجميع ليجدوا مكانًا. كنا قد شغلنا أماكننا بالفعل. وفي لحظة، امتلأت الكنيسة بالناس.

بعد نصف ساعة، فجأةً، قرب قبر المسيح، دوى ضجيجٌ وبدأ العرب يصرخون بلغتهم الغريبة؛ تشابكت أيدي نحو خمسين رجلاً ووقفوا على أكتاف بعضهم البعض، ثلاثةً في كل يد، ورفعوا أيديهم إلى السماء، وبدأوا جميعاً يصرخون. بدأوا يركضون حول قبر المسيح، ثم حول الكنيسة بأكملها: ركضوا وهتفوا حتى المساء. ثم جاء ألف رجل من الجيش التركي، وحرسوا الأبواب المقدسة، ووضعوا حراساً حول الكنيسة بأكملها. ثم جاء البطريرك في مجدٍ عظيم، واستقبله استقبالاً مهيباً. كانت صلاة الغروب مهيبة؛ لكنهم لم يأخذوا القرابين من الجلجلة خوفاً من الفوضى. بعد صلاة الغروب، عاد العرب إلى "عملهم" وبدأوا يركضون ويصرخون. سألتُ من يفهمون الروسية: "ماذا

يقولون؟"، فأخبروني أنهم يُشيدون بالعقيدة الأرثوذكسية الواحدة، لكنهم يُدينون التعاليم الأخرى باعتبارها باطلة ومدمرة للروح. فأتوا إلى الأرمن وشتموهم، قائلين إنهم هم أنفسهم كانوا يريدون الحصول على النعمة، ولكن بدلاً من ذلك أكلوا النجاسة.

دعوني أحدثكم عن هذا: عند البوابات الكبرى نفسها، على الجانب الأيسر، يقف عمود مصنوع من الرخام به شق خرجت منه النعمة، أي النار المقدسة. هذا العمود يُكرّمه الأرثوذكس وغير الأرثوذكس، وحتى الأرمن. أود أن أكتب قليلاً عن هذه الحادثة، وكيف يتحدث عنها المسيحيون الشرقيون الأرثوذكس بالإجماع، ويؤكدها الأتراك أنفسهم. يوجد في الجدار لوح رخامي منقوش، ويقولون إن هذه الحادثة نفسها مكتوبة عليه؛ لكننا لم نتمكن من قراءتها لأنها مكتوبة بأحرف سريانية، باللغة العربية؛ وقد سمعت عنها فقط، لكنني لم أقرأها. لكن الحادثة حدثت على هذا النحو: في وقت من الأوقات، عندما كان اليونانيون مضطهدين تمامًا من قبل النير التركي، قرر بعض الأرمن الأثرياء إجبار اليونانيين على الخروج من القبر المقدس وكنيسة القيامة. جمعوا مبلغًا كبيرًا من المال ورشوا الباب العالي العثماني وجميع سلطات القدس، مؤكدين للكافرين أن النور المقدس لا يأتي من أجل اليونانيين فحسب، بل من أجل جميع المسيحيين، وأن "إذا كنا نحن الأرمن هناك، فسنحصل عليه أيضًا!". فقبل الأتراك، الجشعون للمال، الرشوة، وفعلوا ما أراده الأرمن، وأكدوا أن النور المقدس سيُمنح للأرمن فقط. فرح الأرمن فرحًا عظيمًا وكتبوا إلى جميع بلادهم وإلى مؤمنيهم، داعين المزيد منهم إلى الحج. فجاءت جموع غفيرة. واقترب سبت النور: اجتمع الأرمن جميعًا في الكنيسة، وطرد الجيش التركي اليونانيين المساكين. يا له من حزن وأسى لا يوصفان ملأ اليونانيين! لم يكن هناك سوى عزاء واحد لهم - قبر المخلص، وقد مُنعوا منه، وأُغلقت عليهم الأبواب المقدسة! كان الأرمن داخل الكنيسة، والأرثوذكس في الشوارع. كان الأرمن يفرحون واليونانيون يبكون. كان الأرمن يحتفلون واليونانيون ينوحون بمرارة! وقف الأرثوذكس مقابل البوابات المقدسة في الساحة، وحولهم وقف الجيش التركي يراقبهم حتى لا يكون هناك قتال. وقف البطريرك نفسه مع بقية القوم هناك بالشموع، آملين أن يتلقوا على الأقل النار من الأرمن عبر النافذة. لكن الرب أراد أن يرتب الأمور بطريقة مختلفة، وأن يُظهر إيمانه الحقيقي بإصبع ناري، وأن يُعزي عباده الحقيقيين، اليونانيين المتواضعين. حان وقت انطلاق النار المقدسة، لكن لم يحدث شيء. خاف الأرمن وبدأوا بالبكاء، وسألوا الله أن يرسل لهم النار؛ لكن الرب لم يسمعهم.

مرت نصف ساعة أو أكثر، وما زالت النار المقدسة غائبة. كان النهار صافيًا وجميلًا؛ جلس البطريرك على الجانب الأيمن. فجأة، دوى صوت رعد.وعلى يساره، تصدع العمود الرخامي الأوسط، فانبعث من الشق لهب نار. نهض البطريرك وأشعل شموعه، وأشعل جميع المسيحيين الأرثوذكس شموعهم من شموعه. ثم ابتهج الجميع، وبدأ العرب الأرثوذكس من الأردن يقفزون ويهتفون: "أنت إلهنا واحد، يسوع المسيح؛ واحد هو إيماننا الحق، إيمان المسيحيين الأرثوذكس!". وبدأوا يجوبون أرجاء القدس، ويُحدثون ضجيجًا، ويهتفون في أرجاء المدينة. وما زالوا يفعلون ذلك حتى اليوم تخليدًا لذكرى الحادثة، فيقفزون ويهتفون، راكضين حول القبر المقدس، مُسبّحين الإله الواحد الحق، يسوع المسيح، ومباركين الإيمان الأرثوذكسي. ولما رأى الجيش التركي، الذي كان واقفا للحراسة، هذه العجيبة، دهش وذعر. ومن بينهم رجل يُدعى عمير، كان واقفا للحراسة في دير القديس إبراهيم، آمن بالمسيح على الفور، وصاح: "واحد هو الإله الحق، يسوع المسيح؛ واحد هو إيمان المسيحيين الأرثوذكس!". وقفز على المسيحيين من ارتفاع يزيد عن خمسة وثلاثين قدمًا. هبطت قدماه على الرخام الصلب كما لو كانتا على شمع لين. وحتى اليوم، لا يزال المرء يرى آثار أقدامه مطبوعة كما لو كانت في الشمع، مع أن غير الأرثوذكس حاولوا محوها. رأيتها بعيني ولمستها بيدي. ولا يزال العمود ذو الشق يحمل آثار الحروق. أما عمير الجندي، فقفز، وأخذ سلاحه وغرزه في الحجر كما لو كان في شمع لين، وبدأ يمجد المسيح بلا انقطاع. لهذا، قطع الأتراك رأسه وأحرقوا جثته؛ وجمع اليونانيون عظامه ووضعوها في صندوق وأخذوها إلى دير العذراء مريم الكبرى، حيث تفوح منها رائحة عطر حتى يومنا هذا. لم يتلق الأرمن في القبر المقدس شيئًا، ولم يبقَ لهم سوى عارهم. استاء منهم باشا القدس وغيره من السلطات التركية استياءً شديدًا، وأرادوا ذبحهم جميعًا، لكنهم خافوا السلطان. فلم يفعلوا إلا معاقبتهم بشدة: يقولون أنهم جعلوا كل واحد منهم يأكل الروث عند خروجه من الكنيسة.يسوع المسيح؛ "الإيمان الحقيقي هو إيمان المسيحيين الأرثوذكس!" وقفز على المسيحيين من ارتفاع يزيد عن 35 قدمًا. هبطت قدماه على الرخام الصلب كما لو كانت على شمع ناعم. وحتى يومنا هذا يمكن للمرء أن يرى آثار أقدامه مطبوعة كما لو كانت في الشمع، على الرغم من أن غير الأرثوذكس حاولوا محوها. لقد رأيتها بأم عيني ولمستها بيدي. ولا يزال العمود ذو الشق يحمل علامات الحرق. أما عمير الجندي، فبعد أن قفز إلى أسفل، أخذ سلاحه وطعنه في الحجر كما لو كان في شمع ناعم، وبدأ يمجد المسيح بلا انقطاع. ولهذا، قطع

الأتراك رأسه وأحرقوا جسده؛ وجمع اليونانيون عظامه ووضعوها في صندوق وأخذوها إلى دير العذراء مريم الكبرى، حيث تفوح منها الرائحة العطرة حتى يومنا هذا. لم يتلق الأرمن في القبر المقدس شيئًا ولم يبقَ لهم سوى عارهم. كان باشا القدس والسلطات التركية الأخرى مستائين للغاية منهم و أرادوا ذبحهم جميعًا، لكنهم خافوا السلطان. فما فعلوا إلا أن عاقبوهم عقابًا شديدًا: يقولون إنهم أجبروا كل واحد منهم على أكل الروث عند خروجه من الكنيسة.يسوع المسيح؛ "الإيمان الحقيقي هو إيمان المسيحيين الأرثوذكس!" وقفز على المسيحيين من ارتفاع يزيد عن 35 قدمًا. هبطت قدماه على الرخام الصلب كما لو كانت على شمع ناعم. وحتى يومنا هذا يمكن للمرء أن يرى آثار أقدامه مطبوعة كما لو كانت في الشمع، على الرغم من أن غير الأرثوذكس حاولوا محوها. لقد رأيتها بأم عيني ولمستها بيدي. ولا يزال العمود ذو الشق يحمل علامات الحرق. أما عمير الجندي، فبعد أن قفز إلى أسفل، أخذ سلاحه وطعنه في الحجر كما لو كان في شمع ناعم، وبدأ يمجد المسيح بلا انقطاع. ولهذا، قطع الأتراك رأسه وأحرقوا جسده؛ وجمع اليونانيون عظامه ووضعوها في صندوق وأخذوها إلى دير العذراء مريم الكبرى، حيث تفوح منها الرائحة العطرة حتى يومنا هذا. لم يتلق الأرمن في القبر المقدس شيئًا ولم يبقَ لهم سوى عارهم. كان باشا القدس والسلطات التركية الأخرى مستائين للغاية منهم و أرادوا ذبحهم جميعًا، لكنهم خافوا السلطان. فما فعلوا إلا أن عاقبوهم عقابًا شديدًا: يقولون إنهم أجبروا كل واحد منهم على أكل الروث عند خروجه من الكنيسة.

ولكن الآن لنعود إلى الخدمات في كنيسة القيامة. بعد أن شتم العرب الأرمن، شتموا اللاتين، قائلين إنهم لا يؤمنون بالنعمة، ولا يتلقون النار المقدسة من قبر الرب، لكنهم يشعلون نارهم الخاصة. ورأينا كفرهم مما حدث في الأسبوع السابق. في الأحد السادس من الصوم استعدينا للتناول. وفي عشية سبت لعازر ذهبنا لقضاء الليل في كنيسة القيامة من أجل تلقي الأسرار المقدسة. وفي المساء قرأوا صلاة النوم على الجلجثة؛ ثم أردنا قراءة قاعدة الاستعداد للتناول المقدس. لكن اللاتين بدأوا موكبًا: بالنسبة لهم كان سبت النور، وكانوا ذاهبين إلى الجلجثة بصليبهم. أردنا الانتظار حتى يمروا؛ لكن شعبنا الأرثوذكسي، الروس واليونانيين، كانوا يقفون أيضًا على الجلجثة لمشاهدة موكبهم وطقوسهم. كان هناك عدد قليل جدًا منا؛ لم يكن هناك أكثر من خمسين يونانيًا، بمن فيهم المرتلون. لكن كان هناك أكثر من خمسمائة لاتيني، ومعهم أيضًا حوالي خمسين جنديًا. عندما

وصلوا إلى الجلجثة، بدأ اللاتين في الترنيم والقراءة في مكانهم؛ ثم توجهوا إلى مكاننا، حيث كان صليب المسيح قائمًا. أزال رهباننا جميع المصابيح التي قد تعيقهم، وحملوا الشموع، وهكذا أخلوا المكان. لم يبقَ سوى غطاء على المائدة المقدسة. وضع اللاتين صليبهم خلف مائدتنا المقدسة، وقالوا إن علينا أن نزيل الغطاء عن المائدة المقدسة. رفض اليونانيون قائلين: "لا يمكننا فعل هذا، فالغطاء لا يُنزع أبدًا، والفرمان لا يسمح بذلك؛ بل افردوا ثوبكم فوقها". وعندما حاول اللاتين نزع الغطاء بالقوة، منعهم اليونانيون. ثم جاء رئيس الأساقفة اللاتيني وانتزع غطاء المائدة المقدسة بشكل فاضح. وكان هناك قنصلان واقفان: روسي ويوناني. على الفور، أحدث اليونانيون ضجةً وانطلقوا إلى الممر وأحضروا قطعًا كثيرة من الخشب من المطبخ، فاندلعت معركة على الجلجثة. كان اليونانيون يضربونهم بقطع الخشب، وردّ اللاتين بالشموع، لكنهم أحضروا أيضًا قطعًا من الخشب بعد ذلك. اندفع الأتراك لفضّهم، لكن أسلحتهم كانت قد سُحبت منهم؛ فركضوا لإنقاذ القبر المقدس وكنيسة القيامة، ففي ذلك الوقت، ولأنه كان قريبًا من أحد الشعانين، كان كل شيء مزينًا بالفضة والذهب. لم نكن نعرف إلى أين نهرب، فتجمدنا من الخوف. كان القنصل الروسي ينقذ شعبه ويقودهم إلى المعبد. ذهبنا، حوالي عشرين شخصًا، إلى كنيسة القيامة، ومن الخوف لم نكن نعرف إلى أين نذهب، هل إلى المذبح أم حتى تحت المائدة المقدسة! ارتفعت الضوضاء والصراخ والصراخ إلى السماء، وخاصة على الجلجثة. كان جميع المسيحيين يدقون ناقوس الخطر - الأرثوذكس في جميع الإشارات، ولكن أيضًا الأرمن، واللاتين، والأقباط.كان الجنود واقفين حول القبر المقدس، متشابكي الأيدي، حاملين أسلحتهم أيضًا، ومنعًا للسرقة، وقفوا عند أبواب كنيسة القيامة. انتشر القتال في جميع أنحاء الكنيسة. ألقوا البطريرك اللاتيني من الجلجثة؛ كان من الجيد أن ينقض على الناس وإلا لكان قُتل. بدأ المطران ميليتيوس يحذرهم من القتال، لكنهم قالوا له: "قف في مكانك يا فلاديكا، لكننا سنموت من أجل إيماننا هنا؛ فنحن قليلون وكثيرون من الهراطقة". عجز الأسقف عن فعل شيء، فجلس مع الأتراك. استمر القتال لأكثر من ساعة، حتى وصل الجيش التركي والباشا نفسه. ثم فصلوهم واحدًا تلو الآخر وحبسوهم في بيوت الضيافة. أما نحن، الروس القلائل، فقد ذهبنا إلى كنيسة والدة الإله. أراد الجنود أن يأخذونا ويسجنونا أيضًا، لكننا قلنا إننا من سكان موسكو، فتركونا وشأننا. ثم انعقد مجلسٌ لمدة ساعة، حيث ناقش المطران والباشا والقنصل الأمر. في ذلك الوقت، تمكنتُ من قراءة قواعد الاستعداد للمناولة المقدسة. بعد

الاجتماع، عاد كلٌّ من الباشا والمطران والقناصل إلى منازلهم. بدأ اللاتين موكبهم من جديد، وانتهى عند قبر المسيح؛ ثم طردهم الجنود جميعًا، فانصرفوا هم بأنفسهم. أغلقوا أبواب الكنيسة وأبعدوا الجميع. ثم بدأوا من جديد بقرع ترنيمة صلاة الفجر.

أقمنا صلاة السحر في كنيسة القيامة، وأقمنا قداسًا على قبر المسيح، وحُسِنَ لي أن أكون شريكًا في سرّ جسد المسيح ودمه. لكن جبل الجلجثة كان مُغطّىً بالدماء، وطوال صلاة السحر كان رجلان يغسلانه بالماء. قُتل ثلاثة أشخاص. لم أرَ مثل هذا الرعب منذ ولادتي.

لنعد مجددًا إلى قداسات أسبوع الآلام. كان غير الأرثوذكس يعطون الجنود أموالًا ليضربوا العرب الذين كانوا يسيئون إلى معتقدات الآخرين ويطردوهم. ولذلك كان العرب جميعًا يبذلون جهدًا كبيرًا. كانوا يخلعون قمصانهم الطويلة عن أكتافهم ويمشون شبه عراة. إذا ضربهم أحد، لم يكونوا يكترثون، بل كانوا يواصلون مهمتهم. عندما كانوا يطوفون حول قبر المسيح وكنيسة القيامة، كانوا يرددون شيئًا واحدًا فقط، واكتشفنا أنهم كانوا يقولون: "واحد هو الله، يسوع المسيح! واحد هو إيمان المسيحيين الأرثوذكس!". ثم حمل المسيحيون من جميع الطوائف الأضرحة: الأرمن والأقباط والسريان. ذهبوا أولًا إلى الجلجلة، ثم إلى إنزال الصليب، ثم ثلاث مرات حول قبر المسيح، ثم انصرفوا إلى أقسامهم. وهكذا قضينا الليل حتى الفجر وسط ضجيج متواصل. كان الجو في الكنيسة أشبه بسوق أو معرض. حتى ذلك الحين، كان الحجاج متفرقين في جميع أنحاء القدس؛ والآن يجتمع جميع المسيحيين من مختلف البلدان في كنيسة واحدة، عند قبر مخلصهم يسوع المسيح. امتلأت الشرفات والممرات بالناس. كان الجميع يسألون، وكان الجميع يتضرعون بطرق مختلفة. حشود في كل مكان، وشجارات في كل مكان بسبب الازدحام. لم يفهم أحد لغة الآخر، وكان الجنود الأتراك يفرقون الناس بلا انقطاع. يمكن القول إن الكنيسة، كالسماء نفسها، كانت تجمع في داخلها العالم أجمع. وهكذا قضينا الليل حتى الفجر.

ثم بدأوا بقرع الحطب لصلاة الفجر، فتوقف العرب عن الصخب. بدأ البطريرك صلاة الفجر، ووزعوا الشموع على جميع الأرثوذكس. وغنوا الكاثيسما كاملةً "طوبى للأبرياء" في كنيسة القيامة. ثم توجهوا إلى الجلجثة لقراءة الإنجيل. وبعد أن قرأوا الإنجيل، رفعوا الإبيطافيوس وحملوه من الجلجثة مع الرايات والفوانيس. وكان هناك جمع غفير من رجال الدين: إلى جانب الشمامسة والكهنة ورؤساء الأديرة ورؤساء المتوحدين، كان هناك ستة أساقفة والبطريرك، وحشد من

المرتلين. وبعد أن حملوا الإبيطافيوس من الجلجثة، طافوا ثلاث مرات - لإنزاله عن الصليب. ثم وضعوه على الموضع الذي لُفّ فيه يسوع المسيح بالكتان ودُهن بالمر لدفنه. وهناك أُلقيت عظة طويلة. ثم حملوا الإبيطافيوس إلى قبر يسوع المسيح، وطافوا به حول القبر ثلاث مرات. حملوه إلى القبر ووضعوه على القبر نفسه. وقف رجال الدين حول ضريح قبر المسيح. وحدهم هم من رنّموا القانون كاملاً ("كيماتي ثالاسيس") والأبيات. حمل الناس الشموع بأيديهم. وهناك رنّموا أيضاً التسابيح والتمجيد العظيم، وقرأوا الإنجيل. وهناك، انتهوا من صلاة السحر والساعات. بعد ذلك، حملوا الإبيطافيوس إلى مكانه، وختم الأتراك القبر.

بعد انتهاء الصلاة، عاد العرب إلى أداء واجبهم، لكنهم تكاثروا الآن، لأن أهل القدس، التجار والشيوخ، خلعوا عمامهم، وتشابكوا بالأيدي، وبدأوا بالصراخ والقفز. ولما طلع الفجر، بدأوا بإطفاء النيران والمصابيح، ولم يبقَ مصباح مضاء في أي مكان. فتح الأتراك قبر المسيح وأطفأوا جميع المصابيح. ثم جاءت السلطات التركية والباشا نفسه؛ ووقف حشد من الجنود المسلحين حول قبر المسيح. في الكنيسة، تغير كل شيء؛ أصبح الجميع كئيبًا، وأصبح العرب أجشًا وضعيفًا. كانت الكنيسة مزدحمة وخانقة على نحو غير عادي. في الأعلى، كانت جميع الشرفات مكتظة بالناس في أربعة صفوف. كانت جميع الأيقونستاسيا والقباب مليئة بالناس. كان الجميع يحملون ثلاثة وثلاثين شمعة في كلتا أيديهم لإحياء ذكرى سنوات حياة المسيح. لم يكن هناك شيء مضاء في أي مكان.

صعد البطريرك إلى الأيقونسطاس الرئيسي مع القنصل. جلس ميليتيوس، مطران شرقي الأردن، على المذبح مع بقية الأساقفة، في حالة من الحزن الشديد ورؤوسهم منكسة. في الكنيسة، كان المسلمون بعتادهم يُصدرون الأوامر؛ وكان العرب قد كفوا عن الجري، بل وقفوا رافعين أيديهم إلى السماء مُطلقين صرخات ندم؛ وكان المسيحيون جميعًا يبكون أو يتنهدون بلا انقطاع. ومن ذا الذي يستطيع أن يحبس دموعه في ذلك الوقت وهو يرى هذا الجمع الغفير من جميع أنحاء العالم يبكون وينتحبون ويطلبون الرحمة من الرب الإله؟ كان من دواعي السرور أن نرى الآن، وإن كان ذلك على مضض، أن بقية المسيحيين يُظهرون بعض الاحترام للإيمان اليوناني الأرثوذكسي وللأرثوذكس أنفسهم، وأنهم ينظرون إلى الأرثوذكس كما ينظرون إلى ألمع الشموس، لأن الجميع كان يأمل في نيل نعمة النور المقدس من الأرثوذكس. توجه البطريرك الأرمني إلى المذبح برفقة أسقفين ومطران

قبطي، وانحنوا للمطران مليتيوس وبقية الأساقفة، وطلبوا منهم أن نمنحهم نعمة النور المقدس عند حصولنا عليها. فأجابهم المطران مليتيوس بتواضع، وأمرهم بالصلاة إلى الله. ثم انصرفوا إلى أماكنهم. ثم فُتحت الأبواب الملكية، واستُبدلت بأخرى بفتحة خاصة.

لا يمكن وصف ما كان يحدث في الكنيسة آنذاك. كان الأمر كما لو أن الجميع كانوا ينتظرون المجيء الثاني لملك السماء. سيطر الخوف والرعب على الجميع، وشعر الأتراك باليأس. وفي الكنيسة لم يكن هناك ما يُسمع سوى التنهدات والأنين. وكان وجه المطران ميليتيوس مبللاً بالدموع. ثم جاء الباشا التركي مع السلطات الأخرى، ودخلوا قبر المسيح للتأكد من عدم بقاء أي شيء مشتعل هناك. وعندما خرجوا، أغلقوا القبر، لكنهم كانوا قد وضعوا سابقًا مصباحًا كبيرًا في الداخل، ممتلئًا حتى حافته بالزيت. وفيه فتيل كبير طاف. وضعوا المصباح في وسط قبر المسيح. الآن لم يكن هناك مسيحيون بالقرب من الضريح، ولكن السلطات التركية فقط. ومن الشرفات، ألقوا على الحبال مئات الأسلاك مع حزم من الشموع المرفقة.

في الساعة الثامنة صباحًا بتوقيت روسيا (الثانية ظهرًا)، بدأوا الاستعداد لموكب الصليب. ارتدى الأساقفة والكهنة والشمامسة جميع ثيابهم المقدسة، وأخذ كلٌّ منهم ثلاثًا وثلاثين شمعةً غير مضاءة. ثم سُلِّمت من المذبح، عبر الأبواب الملكية، اثنتي عشرة راية، فحملها من استطاع. فسح الجنود الطريق، وسار المرتلون خلف الرايات. ومن المذبح، عبر الأبواب الملكية، خرج الشمامسة والكهنة ورؤساء الأديرة وأرشمندريت، اثنين اثنين، ثم الأساقفة، وخلفهم جميعًا المطران ميليتيوس. توجهوا إلى قبر الرب، وطافوا حوله ثلاث مرات وهم يهتفون: "ملائكة السماء، أيها المسيح مخلصنا، سبحوا قيامتك بالترانيم؛ واحسبنا نحن أيضًا، نحن على الأرض، أهلًا لتمجيدك بقلب نقي".

بعد انتهاء الموكب، دخل جميع رجال الدين مسرعين إلى المذبح حاملين الرايات. بقي المطران ميليتيوس وحيدًا عند مدخل القبر المقدس في أيدي الأتراك. جرّدوه من ملابسه، وفتشته السلطات. ثم وضعوا عليه الأوموفوريون، وفتحوا قبر المسيح، وسمحوا له بالدخول. يا له من خوف ورعب حلّ على كل من كان هناك في ذلك الوقت! كان الجميع صامتين يئنون ويسألون الرب الإله ألا يحرمهم من نعمة ناره السماوية. مرّ بعض الوقت، لا أعرف كم من الوقت، لأننا كنا جميعًا في حالة ذهول من نوع من الخوف. ولكن فجأة، من قرب قبر المسيح، أشرق نور. وسرعان ما ظهر

نور أيضًا من المذبح في الأبواب الملكية عند الفتحة. وتدفق كنهرين من نار، أحدهما من الغرب، من قبر المسيح، والآخر من الشرق، من المذبح. يا له من فرح وابتهاج ساد الكنيسة حينها! أصبح الجميع كأنهم ثملون أو في حالة ذهول، ولم نكن نعرف من يقول ماذا، أو من يركض إلى أين! وتصاعد ضجيج هائل في الكنيسة بأكملها. كان الجميع يركضون، ويهتفون فرحًا وشكرًا - وخاصة النساء العربيات. حتى الأتراك أنفسهم، المسلمون، سقطوا على ركبهم وهتفوا: "الله، الله"، أي: "يا إلهي، يا إلهي!" يا له من منظر غريب ورائع! تحولت الكنيسة بأكملها إلى نار. لم يكن بالإمكان رؤية شيء في الكنيسة سوى النار السماوية. من أعلى ومن أسفل، ومن حول جميع الشرفات، كانت النار المقدسة تُسكب. وبعد ذلك، غطى الدخان الكنيسة بأكملها. وخرج نصف الناس بالنار وحملوها حول القدس إلى منازلهم وإلى جميع الأديرة.

في الكنيسة الكبرى، بدأت صلاة الغروب، ثم قداس القديس باسيليوس الكبير. خدم المطران مع الكهنة، ورسم شماسًا. ووقف الشعب خلال القداس حاملين الشموع. عندما دخل مطران عبر الأردن إلى القبر المقدس، وجد مصباحًا كبيرًا واقفًا على قبر المسيح مضاءً ذاتيًا؛ أحيانًا يضيء من تلقاء نفسه فجأةً أثناء وجوده هناك. ومع ذلك، لم يره هو نفسه مضاءً قط. في القدس، سمعت من كثيرين تحدث معهم المطران نفسه بصراحة عن الأمر: "أحيانًا أدخل والمصباح يشتعل، فأخرجه بسرعة. وأحيانًا أدخل والمصباح لم يشتعل بعد، فأسقط أرضًا من الخوف وأبدأ بالبكاء متوسلاً الرحمة من الله. عندما أستيقظ، يكون المصباح مشتعلًا بالفعل، فأشعل حزمتين من الشموع وأحملهما وأوزعهما". يحمل المطران النار إلى الدهليز، ويضع حزم الشموع في حوامل حديدية، ويوزعها من القبر عبر فتحات مُعدّة لهذا الغرض، باليد اليمنى للأرثوذكس واليسرى للأرمن وغيرهم. يقف العرب الأرثوذكس في حشد قرب الفتحة. ما إن يُري المطران النار المقدسة، حتى يمسكها أحد العرب، ويركض مباشرةً إلى المذبح، وهناك عبر الأبواب الملكية تُوزّع على الناس؛ لكن بالكاد يستطيع أحدهم إشعال شموعه في الفتحات. ثم يعود المطران مرة أخرى إلى قبر المسيح، ويُشعل حزمتين أخريين، ويخرج من باب القبر. يقف أقوى العرب على أبواب القبر في انتظاره. ما إن يخرج حاملاً بين يديه الشموع الثلاث والثلاثين المشتعلة، حتى يأخذه العرب بأيديهم، ويحملونه مباشرة إلى المذبح. يهرع إليه الجميع، يتوقون جميعًا إلى لمس ثيابه. وبصعوبة بالغة، بالكاد يستطيعون حمله إلى المذبح. أجلسوه على كرسي، وجلس طوال القداس كأنه في حالة ذهول،

منحني الرأس؛ لم يرفع بصره ولم ينطق بكلمة؛ ولم يزعجه أحد. ما إن أخرجوه من القبر، حتى اندفع الناس إليه ليسجدوا له. وقد ارتأيتُ أن أفعل الشيء نفسه. كان قبر المسيح كله مبللاً، كأنه قد بلله المطر؛ لكنني لم أستطع معرفة مصدره. في وسط القبر، كان هناك مصباح كبير يضيء من تلقاء نفسه، ولهب عظيم يشتعل.

بعد القداس ذهب كل شخص إلى مكانه، وهنأ الجميع بعضهم البعض على حصولهم على نعمة النور المقدس.

في المساء ذهبنا جميعًا لقضاء الليل في كنيسة قبر المسيح. وعندما وصلنا إلى الكنيسة، رأينا مشهدًا عجيبًا ومجيدًا للغاية: كانت الكنيسة بأكملها، وخاصة القبر، مزينة بشكل رائع بأيقونات وشخصيات فضية وذهبية مختلفة، وفوقها العديد من المصابيح المطلية بالفضة والذهب، مشتعلة ببراعة كبيرة. تم وضع مجموعة من الشموع المصنوعة من الشمع الأبيض في مكانها، ولكنها لم تحترق بعد. كانت الكنيسة بأكملها معلقة بالمصابيح؛ حيث كان هناك مصباح واحد في السابق، والآن يوجد عشرة؛ أردت أن أحصيهم، لكنني لم أستطع. كان كل مكان هادئًا وسلميًا. ظلت أبواب الكنيسة غير مقفلة طوال الليل. أشعل الجنود في الفناء نارًا. وكانت تلك الليلة أسعد من كل شيء: أينما ذهبت، ستجد الفرح في كل مكان. ولم يكن هذا الفرح في كنيسة القيامة فحسب، بل في جميع أنحاء القدس. كان الناس يسيرون في الشوارع طوال الليل في حشود. كانت النيران تُوقد في كل مكان، وكانت جميع الأديرة مفتوحة. فرح الأتراك وتواضعوا، وتوافدوا أفواجًا لرؤية كنيسة القيامة.

اليهود وحدهم انغلقوا على أنفسهم في منازلهم، ولم يطيقوا رؤية نور الحق، فظلوا يذوون في شرورهم. أما اللاتين، فرغم أنهم أعداء الكنيسة الشرقية، فقد احتفلوا معنا. ورغم وقوف الجنود في الكنيسة حول قبر المسيح، إلا أنهم لم يمنعوا أحدًا من الاقتراب منه. وهكذا قضينا المساء حتى الساعة العاشرة. ثم في الساعة الثالثة قبل منتصف الليل، بدأوا يدعوننا إلى صلاة الغروب بألحان مختلفة، وبإيقاعات مختلفة، في احتفال مهيب. حضر البطريرك مع جميع جماعته، وكان له اجتماع احتفالي للغاية.

ثم بدأوا صلاة الغروب. رنّموا ترنيمة "أمواج البحر" كاملةً، بيتًا بيتًا، تناغمًا مع ترنيمة "هيرموس" وأربع عشرة طروبارية. رنّموا لمدة ساعتين. في ذلك الوقت، أضاءوا الشموع ومصابيح الزيت حول

الكنيسة بأكملها؛ وفي القباب نفسها، أُضيئ أكثر من ألف مصباح. وقفنا جميعًا نحن الرهبان في المذبح. ثم ارتدى البطريرك والمطارنة ورؤساء الأساقفة والأساقفة وأرشمندريت ورؤساء الأديرة والكهنة والشمامسة وجميع رجال الدين في الكنيسة، ثنتي عشرة راية، بعد أن ارتدوا جميع ثيابهم المقدسة. كانت الرايات مزخرفة ببذخ؛ فقد قدّمها ملوك يونانيون وجورجيون قدماء. كانت مخيطة بالذهب واللؤلؤ. لا يُخرجونها إلا في عيد الفصح. وخلف البطريرك، حملوا رايةً احتاج حملها ثلاثة رجال؛ كانت مخيطة بالذهب فقط، وكانت صورة لقيامة المسيح من صنع روسي أهداها تجار موسكو. ثم وزعوا على الجميع شموعًا كبيرة من الشمع الأبيض. كما أشعلوا شموعًا ومصابيح زيتية حول الكنيسة بأكملها. بدا القبر وكأنه مصباح واحد متقد. ومن الشموع الكبيرة في أيدي كل شخص، أصبحت الكنيسة بأكملها وكأنها تحترق، وأشرقت قباب الكنيسة كالشمس. حمل المشاركون في موكب الصليب الأناجيل والأيقونات والصلبان والشموع، وتوجهوا من مذبح كنيسة القيامة عبر البوابات الملكية مباشرة إلى قبر المسيح، وهم يهتفون: "ملائكة السماء، أيها المسيح مخلصنا، سبحوا قيامتك بالترانيم؛ واحسبنا نحن أيضًا، نحن على الأرض، أهلاً لتمجيدك بقلب نقي". بعد أن طافوا حول القبر المقدس ثلاث مرات، وقفت جموع الإكليروس أمام أبواب القبر المقدس. ثم قرأ البطريرك بنفسه إنجيل القيامة من إنجيل متى، الذي يُقرأ مساء يوم السبت في القداس. ثم أدخل المبخرة إلى الداخل، وبخّر قبر المسيح. ولما خرج، بخّر حول المزار كله وجميع الإخوة. ثم دخل مع جميع الأساقفة إلى قبر المسيح، وهناك، بعد أن بخّر، هتف قائلًا: "المجد للثالوث القدوس المساوي في الجوهر وغير المنقسم، كل حين، الآن وكل أوان، وإلى دهر الداهرين". هتف الأساقفة: "آمين". ثم أنشد البطريرك نفسه مع جميع الأساقفة، من داخل القبر نفسه، ترنيمة "المسيح قام من بين الأموات، ووطئ الموت بالموت، ووهب الحياة للذين في القبور". وهتفوا بها ثلاث مرات. لم يرتّلوا بالروسية، بل باليونانية فقط، أي "كريستوس آنستي إيك نيكرون، ثاناتو ثاناتون باتيساس، كاي تيس إن تيس منيماسي زوين كاريسامينوس". ثم أنشد المنشدون، وهتف بها جميع الواقفين حول قبر المسيح مرات عديدة.

يا له من فرح كان حينها، ومن لا يبكي فرحًا، وهو يرى قبر مخلصه يسوع المسيح أمام عينيه، فارغًا، لأنه قام من بين الأموات! من لا يستطيع أن يشكر خالقه الذي حسبهم أهلاً للاحتفال بعيد الفصح المقدس، وقيامته المجيدة من بين الأموات، في مدينة القدس المقدسة، حول قبره نفسه وفي ذلك

المكان نفسه الذي تم فيه سر خلاصنا؟ أي قلم يمكن أن يصف فرحنا؟ أو من يستطيع أن يفسره بالكلمات؟ أي لسان يمكن أن يخبر عنه؟ وحده من يستطيع أن يفهمه من يتذوق هذا الفرح في نقاء قلبه. كيف يمكن ألا نفرح أو نكون سعداء؟ لقد اجتمعنا من أربع زوايا الأرض، مسيحيين من ألسنة مختلفة، اجتمعنا جميعًا في كنيسة واحدة. وقفنا جميعًا حول قبر مخلصنا وكنا نمجد قيامته المجيدة من بين الأموات. في الحقيقة، امتلأت كل الأشياء الآن بالنور؛ حينئذ أصبح قانون الفصح لنا حقيقيًا وواضحًا. فما كنا نُنشده، رأيناه بأعيننا. وبأي مشاعر هتفنا لصهيون التي كنا واقفين عليها: "ارفعي عينيكِ يا صهيون، وانظري، فها هوذا من الغرب، ومن الشمال، ومن البحر، ومن الجنوب، كأنه نورٌ من الله، قد أتى إليكِ أبناؤكِ، مُباركين المسيح إلى الأبد" (الترنيمة الثامنة، التطويبة الثانية). حقًا، بالنسبة لنا، مقدسةٌ وجديرةٌ بكل نصرٍ مهيب، هذه الليلة الفادية والمشرقة، بشيرٌ بيوم القيامة المُشرق، الذي أشرق فيه النور الأبدي في الجسد من القبر للجميع.

كان هناك ترنيمة. عندما بدأوا في ترنيم القانون، ذهبوا إلى الكنيسة الكبرى؛ وعلى قبر المسيح بدأ كاهن واحد مع شماس القداس المبكر. في الكنيسة الكبرى رنموا القانون بأكمله. بعد صلاة السحر، بدأوا القداس أيضًا دون توقف. خدم البطريرك مع جميع رجال الدين بطريقة مهيبة ومهيبة للغاية. قرأوا الرسالة بثلاث لغات: اليونانية والسلافية والعربية. قُرئ الإنجيل بالعديد من اللغات المختلفة: قرأوا بالسلافية ثلاث لغات، والباقي باليونانية الهيلينية واليونانية واللاتينية والتركية والجورجية والسريانية والعربية والمصرية والأبيسية، وقرأوا أثناء قرع السمانترون. وقف الجميع خلال القداس بالشموع. وقفنا خلال صلاة السحر والقداس في المذبح.

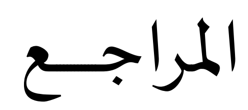
بعد انتهاء القداس، بدأ الفجر ينبلج. توجه الأرثوذكسيون إلى البطريركية، وهناك عند الأبواب وزعوا على كل شخص بيضتين حمراوين، ثم ذهب كل واحد إلى مكانه.

بالمناسبة، أُبلغ جميع الحجاج الأرثوذكس أنه في الساعة الأولى من بعد الظهر، كان عليهم التوجه إلى الكنيسة البطريركية لصلاة الغروب. وهكذا دخلنا الكنيسة البطريركية. كانت مزينة ومزينة بوفرة من المصابيح والشموع. سلموا لكل شخص شمعة كبيرة مصنوعة من الشمع الأبيض ووقفنا طوال صلاة الغروب مع الشموع. كان الأمر مهيبًا للغاية. دخل أكثر من مائة كاهن وجمع من الشمامسة. في المقدمة كان هناك سبعة شمامسة يحملون الشموع. وخلفهم كانوا يحملون اثنتي عشرة مروحة. ذهبوا خلف جميع الأعمدة. قرأوا الإنجيل كما يفعلون في القداس، بلغات عديدة

مع دقات الأجراس. بعد صلاة الغروب كان هناك طعام للحجاج. ثم فتحوا كنيسة القيامة وذهب الحجاج لتكريم القبر. هناك - مشهد حزين: كان الجميع يبكون، وكان الجميع ينتحبون. كان الجميع يحتضنون قبر مخلصهم يسوع المسيح، يذرفون عليه دموعًا حارة، فقد حان وقت فراقهم وتركه إلى الأبد. ساد البكاء والعويل الكنيسة كلها، وخاصة النساء اللواتي كنّ يُصدرن أصواتًا عالية ويصرخن. وعلى جميع الأماكن المقدسة، كان الناس راقدين لا يريدون النهوض. لذا، كان فراق القدس وقبر المسيح الواهب للحياة أمرًا محزنًا ومؤلمًا[1].

---

[1] Monk Parthenius, "Holy Week and Pascha in Jerusalem," Orthodox Life 34.2 (1984), New York, (Jordanville. See also K. Miliaras, Holy Fire, p. 17



المراجع العربية

1-صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، أحمد بن علي القلْقشندي (ت ٨٢١ ه) ، دار الكتب العلمية، بيروت ، الطبعة: الأولى ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م

2-الحيوان ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (ت ٢٥٥ه)، دار الكتب العلمية بيروت الطبعة: الثانية، ١٤٢٤ هـ

3-فضائل البيت المقدس، أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد الواسطي، الناشر: مركز بيت المقدس للدراسات التوثيقية نيقوسيا قبرص.، الطبعة: الأولى، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م

4-اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت ٧٢٨ه)، الناشر: دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة: السابعة، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م

5-البداية والنهاية، عماد الدين، أبو الفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (٧٠١ - ٧٧٤ ه)، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م

6-نهاية الأرب في فنون الأدب المؤلف: أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري (ت ٧٣٣ه) الناشر: دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ

7-البلدان، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن إسحاق الهمداني المعروف بابن الفقيه (ت ٣٦٥)، الناشر: عالم الكتب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م

8- مخطوط رقم ٤٦٦٧ بمكتبة بيازِت، تركيا. ص ٣٤٧- ٣٤٨

9- الآثار الباقية عن القرون الخالية، أبي الريحان محمد بن أحمد البيروني الخوارزمي (440-362 ه).

10- تاريخ دمشق لابن القلانسي، حمزة بن أسد بن علي بن محمد، أبو يعلى التميمي، المعروف بابن القلانسي (المتوفى : 555ه)، المحقق د سهيل ذكار، الناشر: دار حسان للطباعة والنشر ، لصاحبها عبد الهادي حرصوني – دمشق، الطبعة الأولى 1981

11- كتاب: 15 تاريخ، ص 211 "أ"- 312؛ وسنكسار دير الأنبا أنطونيوس، رقم 343 طقس؛ عن كتاب: "سلسلة تاريخ البابوات بطاركة الكرسي الإسكندري"، تأليف: كامل صالح نخلة، الحلقة الخامسة، ص 141،140.

12-المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597 هـ)، الناشر دار صادر بيروت الطبعة الأولى 1358 هـ

13- كتاب العنوان المكلل بفضائل الحكمة المتوج بأنواع الفلسفة الممدوح الممدوح بحقائق المعرفة لأغابيوس ابن قسطنطين الرومى المنبجى أسقف منبج طبع في بيروت بمطبعة الآباء اليسوعيين 1907

14- مروج الذهب ، المسعودي – علي بن الحسين بن علي المسعودي. وكنيته أبو الحسن، ولقبه قطب الدين (~283 هـ - 346 هـ، أي 896 - 957 م).

15- النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية (سيرة صلاح الدين الأيوبي)، يوسف بن رافع بن تميم بن عتبة الأسدي الموصلي، أبو المحاسن، بهاء الدين ابن شداد (ت ٦٣٢ هـ)، الناشر الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة الطبعة الثانية 1994 م

16- تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، المؤلف: صالح بن الحسين الجعفري أبو البقاء الهاشمي (ت ٦٦٨هـ)، الناشر: مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م

17- مقامع هامات الصلبان ومراتع رياض الإيمان ، أبو عبيدة الخزرجي المتوفى سنة 582 هجرية ، الناشر مكتبة وهبة القاهرة الطبعة الثانية 1972م

18- تاريخ الإسلام ، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، شمس الدين، أبو عبد الله، الذهبي الأثري المتوفى سنة 748 هجرية ، الناشر دار الكتاب العربي، بيروت الطبعة الثانية 1993 م

19- اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي (المتوفى: 845هـ) ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي ، الطبعة الأولى حققه د جمال الدين الشيال، أستاذ التاريخ الإسلامي وعميد كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

20- نزهة الأمم في العجائب والحكم ، آدم بن أبى إياس: عبد الرحمن ويقال: ناهية بن محمد بن شعيب الخراسانى المروذى أبو الحسن العسقلانى، مولى بنى تيم أو تميم (المتوفى: 221 هـ) ، الناشر مكتبة مدبولى 1995م

21- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، المؤلف: أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي (ت ٨٤٥هـ) ، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ

22- تاريخ حكماء الإسلام ، ظهير الدين البيهقى ، الناشر دار النوادر والدرر – مصر

23- المسالك والممالك ، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (المتوفى: 487هـ) ، الناشر دار الغرب الإسلامي 1992م

24- حروب صلاح الدين وفتح بيت المقدس «وهو الكتاب المسمى الفتح القسي في الفتح القدسي» ، أبو عبد الله، محمد بن (محمد صفي الدين) ابن (نفيس الدين حامد) بن أُلْه، عِمَاد الدِّين الكاتب الأصبهاني (المتوفى: 597هـ) ، الناشر دار المنار الطبعة الأولى 2004 م

25- مرآة الزمان في تواريخ الأعيان ، شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قِزْأُوغلي بن عبد الله المعروف بـ «سبط ابن الجوزي» (581 - 654 هـ) ، الناشر دار الرسالة العالمية، دمشق – سوريا الطبعة الأولى 2013 م

26- التنبيه والإشراف ، أبو الحسن على بن الحسين بن على المسعودي (المتوفى: 346هـ) ، الناشر دار الصاوى القاهرة

27- مروج الذهب ومعادن الجوهر ، أبو الحسن على بن الحسين بن على المسعودي (المتوفى: 346 هـ) ، الناشر دار الهجرة 1409 هـ

28- القديس كيرلس الأورشليمى حياته مقالته لطالبى العماد الأسرار، القمص تادرس يعقوب ، كنيسة الشهيد العظيم مارجرجس اسبورتنج الطبعة الثانية 2006

29- المختار فى كشف الأسرار ، جمال الدين عبد الرحيم بن عمر بن أبى بكر الدمشقى المعروف بالجويرى المتوفى سنة 663 هـ، الناشر المكتبة العربية ، تحقيق مانويلا دنجلر

30- آثار البلاد وأخبار العباد ، زكرياء بن محمد بن محمود القزويني المتوفى 682 هـ ، الناشر: دار صادر بيروت 1960 م

31- معجم البلدان ، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: 626هـ) ، الناشر دار صادر بيروت الطبعة الثانية 1995 م

32- الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن العليمي الحنبلي، أبو اليمن، مجير الدين (المتوفى: 928هـ) ، الناشر مكتبة دنديس عمان

33- موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية ، أبو سهل محمد بن عبد الرحمن المغراوي ، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، القاهرة الطبعة الأولى

34- وصف الأرض المقدّسة في فلسطين ، رحلة الحاج الروسي الراهب دانيال في الأراضي المقدسة 1130م، المترجم د. سعيد عبدالله البيشاوي وداود إسماعيل أبو هدبة ، الناشر دار الشروق للنشر والتوزيع الطبعة الأولى 2003م

35- الوافي بالوفيات ، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (المتوفى: 764هـ) ، الناشر دار احياء التراث بيروت 2000م

36- سير أعلام النبلاء ، شمس الدين، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) ، الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الثالثة، 1405 هـ - 1985 م

37- عِقْد الجُمَان في تاريخ أهل الزمان - عصر سلاطين المماليك [٦٤٨ - ٧١٢ هـ] ، بدر الدين محمود العيني (المتوفى ٨٥٥ هـ) ، الناشر: مطبعة دار الكتب والوثائق القومية – القاهرة 2010م

المراجع الأجنبية

1-The Life and Journey to Jerusalem and Egypt of Kazan citizen Vasily Yakovlevich Gagara (1634-1637), Orthodox Palestinian Collection [of Stories]. Saint Petersburg, 1891. Issue 33. Pp. 33-34.

2- Dimitrievsky A.A. The Holy Fire at the Lord’s Tomb on Great Saturday. Saint Petersburg, 1908. p. vi

3- Konstantin Rostovtsev, member of the Imperial Palestinian Society (1896).—from “Orthodox Life”. 1962. No. 4

4- J. Magness, “Illuminating Byzantine Jerusalem, Oil Lamps Shed Light On Early Christian Worship”, Biblical Archeological Review, 24102 (March/April 1998), pp. 40-47

5- Kiriakos Ganjakets'i's, History of the Armenians, 11.2, ed. and trans. R. Bedrosian, NY 1986

6- Codex 381 (in Russian), MS Sinai 544 (in Greek), Sinai Arabic MS 538 (in Arabic)

7-مخطوط MS Paris supl. Arabe 1483

8-مخطوط MS Ahmad Taymur 103 (c. 1389), National Library of Egypt

9- Karchkovsky, "Le 'feu beni', d'apres le recit d'Al Biruni et d'autres ecrivains musulmans du X au XIII siecles », Proches Orient Chretien 19 (1999)

10- Meinardus, Otto. The Ceremony of the Holy Fire in the Middle Ages and to-day. Bulletin de la Société d'Archéologie Copte, 16, 1961-2. P 242-253

11- Evsevi Pamfil. Church history. Book 6. Chapter 9. 1-3

12- Eusebius Caesariensis, Vita Constantini, The Life Of The Blessed Emperor Constantine

13-Eusebius, Ecclesiastical History, Book VI, ch. IX

14- CodexJerusalem Patriarchate Hagios Stauros 43 [HS 43]

15- Chronology of the Muslim scholar Al-Biruni (973 - 1048). Al Biruni / In the Garden of Science / Reklam - Leipzig 1991. English translation.

16- H. Sarlikidis, The Holy Fire, Elaia Editions, Athens, 2011, p. 50; c. ref. Kiriakos Ganjakets'i's, History of the Armenians, 11.2, ed. and trans. R. Bedrosian, NY 1986.

17-H. Sarlikidis, p. 57, c. ref. مخطوطMS Mattei 303, fols. 98v – 99r; Library of the Moscow Patriarchate.

18- J. Magness, "Illuminating Byzantine Jerusalem, Oil Lamps Shed Light On Early Christian Worship", Biblical Archeological Review, 24102 (March/April 1998), pp. 40-47

19-Fra' Niccolò of Poggibonsi, A Voyage Beyond the Seas, 1346–1350, trans. by Theophilus Bellorini and Eugene Hoade (Jerusalem: Franciscan Press, 1993), pp. 23–24.

20- Quoted from: Avdulovsky F.M. The Holy Fire Coming Out from the Sepulcher of Our Lord God and Saviour Jesus Christ. Moscow, 1887. pp.46-47

21- Papadopulo-Kerameus, A.I. The Story of Nikita the Royal Cleric: Epistle to Emperor Constantine VII the Porphirogeniture about the Holy Fire, written in the year 947. St Petersburg, 1894. pp.10-11

22- The Life and Journey of Daniel, Igumen of the Land of Rus'.//Book of Journeys. Notes of Russian Travelers in the 11th-15th Centuries. Moscow, 1984. p.77

23- The Pilgrimage of the Russian Abbot Daniel in the Holy Land 1106-1107 A. D. By C. W. Wilson. London, 1888

24- The Holy City in the Eyes of Chroniclers, Visitors, Pilgrims, and Prophets from the Days of Abraham to the Beginning of Modern Times (Princeton, 1985)

25- G. Bertoniere, The Historical Development of the Easter Vigil and Related Services in the Greek Church (Rome, 1972)

26- Archimandrite Callistos presents the Priest Niketas' testimony from 947 in his article "The Holy Fire," Orthodox Life, XXXIV(2)

27- The Ceremony of the Holy Fire in the Middle Ages and To-day," Bulletin de la Soci? d'Archaogie Copte, XVI(1961-62)

28- A lengthier description is found in Monk Parthenius, "Holy Week and Pascha in Jerusalem," Orthodox Life, XXXIV(2), pp. 28-29

29- Bishop Auxentios of Photiki. The Paschal Fire in Jerusalem: A Study of the Rite of the Holy Fire in the Church of the Holy Sepulchre. Berkeley, California, 1999.

30- Athenaeus, Deipnosophistae, vol. 2.1, Leiden 1937, p. 116

31- see M. Smith, Tannaitic Parallels to the Gospels, Jerusalem 1951

32- Boyarin, "After the Sabbath (Matt 28:1)—Once More into the Crux," JTS 52, 2 (2001)

33- G.F. Moore, "Conjectanea Talmudica", JAOS 26 (1905)

34- J. Lightfoot, Commentary of the New Testament from the Talmud and Hebraica, Cambridge 1674

35- Isaac Wilk Oliver, Torah Praxis after 70 C.E.: Reading Matthew and Luke-Acts as Jewish Texts, doctoral dissertation (University of Michigan, 2012)

36- Gregory Palamas, On the Sunday of the Myrrh-bearers, ΕΠΕ 9

37- Cyril of Alexandria, Interpretation on the Gospel of John, vol. 3, Oxford 1872

38- Gregory of Nyssa, On the Three-day Period of our Lord Jesus Christ's Resurrection, Leiden 1967, Gregorii Nysseni opera, vol. 9,

39-Mabilon. Acta Sancta. T. III. P. II. p. 473. Cited: Bishop Auxentios of Photiki. The Paschal Fire in Jerusalem: A Study of the Rite of the Holy Fire in the Church of the Holy Sepulchre

40-Bishop Auxentios of Photiki. The Paschal Fire in Jerusalem: A Study of the Rite of the Holy Fire in the Church of the Holy Sepulchre

41-Hvidt N.C. Miracles - Encounters Between Heaven And Earth, Gyldendal. Pp. 203-229

42-Bishop Auxentios of Photiki. The Paschal Fire in Jerusalem: A Study of the Rite of the Holy Fire in the Church of the Holy Sepulchre.

43-John of Damascus, Δοξαστικό, Παρακλητική η Μεγάλη [Eulogy: The Great Prayer], Athens 1992, p. 349: «Και δρομαίος ο Πέτρος, επέστη τω μνήματι, και το Φως εν τω τάφω ορών κατεπλήττετο».

44-John of Damascus, Λόγος εις το Άγιον Σάββατον [Oration on Holy Saturday], ed. J.P. Migne, PG 96, p. 628: "καί αυτή η της αγίας Κυριακής λαμπρά καί φαεσφόρος ημέρα, εν η τό άκτιστον φως σωματικώς εκ του τάφου πρόεισιν, ως νυμφίος ωραίος τω κάλλει της αναστάσεως."

45-Gregory of Nyssa, Περί της Αναστάσεως του Κυρίου ημών Ιησού Χριστού [On the Resurrection of Jesus Christ], ed. J.P. Migne, Patrologia Graeca (hereafter PG), 46.636d: «ιδόντες οι περί τον Πέτρον επίστευσαν… πλήρης γαρ ην ο Τάφος φωτός, ώστε και νυκτός ούσης έτι, διπλώς θεάσασθαι τα ένδον, και αισθητώς και πνευματικώς».

46-Monk Parthenius, "Holy Week and Pascha in Jerusalem," Orthodox Life 34.2 (1984), New York, Jordanville. See also K. Miliaras, Holy Fire, p. 17

47-Προσκυνητάριον της Ιερουσαλήμ και των Λοιπών Αγίων Τόπων, 1608–1634 [Proskynitarion of Jerusalem and the Other Holy places, 1608–1634], ed. A.

Papadopoulos-Kerameus, with Russian trans. by G.S. Destounis, St. Petersburg 1890, p. 17

48-Symeon, Προσκυνητάριον Αγίας Πόλεως Ιερουσαλήμ [Proskynitarion of the Holy City of Jerusalem], Vienna 1749, p. 19

49- Ibn Al-Qalanisi, History of Damscus, ed. H.F. Amedroz, Beirut 1908

50- Ιεροσολυμιτικό Κανονάριο (Τυπικό) σύμφωνα με τη μετάφραση του Ρωσικού, από τον Αρχιμανδρίτη Κάλλιστο, Ιεροσόλυμα 1914, σελ. 68-69

51- Αρχιμανδρίτη Καλλίστου, Οι Άγιοι Τόποι στην Παλαιστίνη κτλ., τόμος Α', σελ. 276 και εξής

